مسرحية

القلوب النهمة أو الظمأ

تأليف : جبرييل مارسل

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

العنوان الأصلي للمسرحية

GABRIEL MARCEL

LES CŒURS AVIDES

(La Soif)

Pièce en trois actes



LA TABLE RONDE
8, RUE GARANCIÈRE, 6e
PARIS

مقدمة

مسرحية القلوب النهمة بقلم المترجم

اذا كان « جبرييل مارسل » قد كتب مسرحية « رجل الله » فى فترة القلق والتردد والحيرة قبل تحوله النهائي الى الكاثوليكية ، فانه كتب مسرحية « الظمأ » أو « القلوب النهمة » بعد أن استقر على الايمان ، وانتهى الى ذلك التحول . وهذه المسرحية امتداد لمسرحية سابقة هى « الرمح » ، من حيث الاتجاه السائد والروح الشائعة فيها ، ولكنها تختلف معها اختلافا بيّنا من حيث المضمون . ففى مسرحية « الرمح » عبارة لاحدى الشخصيات تقول فيها : « لو لم يوجد سوى الاحياء لأصبحت الأرض غير صالحة للسكنى » ، وسنرى ان « القلوب النهمة » هى بمعنى من المعانى نداء حار الى منابع النور والاكتمال التى تريدنا بالموت ، أو كما يقول « آرنو » ــ أحد أبطال المسرحية ــ « اننا بالموت ننفتح على كل ما عشنا من أجله على الأرض » .

وهذه المسرحية تبدأ فى جو من الشك القاتل والقلق الممزق والحيرة اليائسة وتدور حول سر غامض لا نبلغ له تفسيرا ، وتنتهي بالايمان والحب والتضحية والانسجام العائلى . فهى مسرحية من المسرحيات المؤدية الى الايمان ، ان صح هذا التعبير ، وقد وضع فيها « مارسل » كثيرا من نفسه ، وأحاطها بالظروف والملابسات التى تذكرنا تذكيرا قويا بالجو الذى نشأ فيه ، وبالتساؤلات التى ألحّت عليه فى طفولته الخالية من حنان الأم .

والمسرحية دراما عائلية ، أبطالها هم «آل شارتران» : الجدة «مدام شارتران» ، والأب « أميدية شارتران » وابنته « ستللا » وابنه « آرنو » . أما الأم فقد توفيت فى ظروف غامضة بعد أن احتجزت فى احدى المصحات العقلية لفترة طويلة ، وتزوج الأب بعدها من صديقة لها تدعى « ايفيلين » ، وتدور أحداث المسرحية بعد هذا الزواج بحوالى ثمانية عشر شهرا .

وحين تبدأ المسرحية نرى « ستللا » فى أزمة نفسية عنيفة ، فهى تريد أن تكشف عن السر فى وفاة أمها ، تلك الوفاة التى اكتنفها الغموض ، وهى تتخبط وحدها ـ لأن « آرنو » شقيقها لا يشاركها هذا الفضول ـ فى تكهنات لا نهاية لها ، وما من احد يريد أن يحدثها بالتفصيل عن المرض الذى أودى بحياة الأم ، بل انها لم تعلم بموتها الا بعد انقضاء ثلاثة أسابيع . وفى حوار لها مع « آرنو » تقول ان ما يدفعها الى التنقيب عن هذا السر ليس فضولا ، بل نوعا من القلق ، من تأنيب الضمير « ... لا أستطيع أن أفكر فى أمى كما ينبغى أن يكون التفكير ، ما دمت لا أعرف كيف كانت حياتها » . وحين يسألها « آرنو » : ولماذا لا تستطيعين ؟ تجيبه : « لأننى لا أعرف الصلاة . » (الفصل الاول ـ المنظر الرابع) .

المسرحية اذن منذ البداية رغبة فى اجتياز ذلك الحاجز الذى يفصل بين الأحياء والأموات ، واستدعاء قوى لـ « حضور » من أحببناهم بعد أن رحلوا عن عالمنا الأرضى .

وتلتقى « ستللا » مصادفة « بالآنسة فرو » ـ وهى عانس كانت فى يوم ما مدرسة للزوجة المتوفاة ، فتدعوها الى زيارتهم ، وحين تتم هذه الزيارة يعترض « أميدية » الأب على انفراد ابنته بالآنسة « فرو » فتجابهه هذه الأخيرة بتلك العبارة التى تشعل الشك فى قلب ستللا : « أهناك اذن ما تخشاه ؟ » (الفصل الاول ـ المنظر ١٤)

وتزداد « ستللا » ارتيابا حين تعلم من « الآنسة فرو » أن الأم قد تركت خطابا لآرنو ، وأوصت موثق عقودها أن يسلمه اليه بمجرد بلوغه سن الرشد . وتسأل « ستللا » أباها عن هذا الخطاب ، فيرفض أن « يقدم حسابا لمفتوحة على حد وصفه للآنسة « فرو » وتعتقد « ستللا » أن ثمة سببا وراء اخفاء هذا الخطاب عنها . وهنا تصرخ فى وجه أبيها مطالبة اياه بالحقيقة .

ـ « انى مصرة على أن تخبرنى بالحقيقة : ماذا حدث ؟ لماذا لم نرها ثانية على الاطلاق ؟ » (الفصل الاول ـ المنظر ١٦) وتتهم أخاها « آرنو » بأنه متواطىء معهم ، وبأنه جبان بل تندفع فى اتهام أبيها قائلة ، « هناك أناس يُسْجَنون دون سبب ، لأنهم يموتون غيرهم .. »

ولا يجد « أميديه » مفرا من الاعتراف بأن أمها حاولت دس السم له ، وحينئذ ألقى نفسه مُرْغَمًا على احتجازها فى احدى المصحات العقلية خوفا على حياته وحياتهما . (الفصل الأول ـ المنظر ١٦) .

بيد أن هذا الاعتراف لا يبدد الشك الذى ينهش قلب الابنة ، ففى حوار آخر بينهما وبين « ايفيلين » زوجة أبيها ، تؤكد لها « ايفيلين » أن أمها لم تكن مريضة ، فتسألها ستللا :

ستللا : كانت مجرمة اذن ؟

ايفيلين : ولا هذا .

ستللا : لقد أرادت قتله .

ايفيلين : لقد أرادت أن تعيش .. بكل بساطة .. (الفصل الثانى ـ المنظر ٨) .

ومن هذا الحوار نلمح ان « ايفيلين » تعتقد ان الأم قد ذهبت ضحية «أميدية» لانها أرادت أن تعيش .

والواقع أن « ايفيلين » التى التقت بأميدية فى فترة عصيبة من حياته كان محتاجا فيها الى من يفهمه ـ لم تلبث أن تنكرت له ، وانحازت الى جانب ضحيته (الزوجة المتوفاة) ، وأعلنتها حربا شعواء عليه ، فهى تتصل بـ « ماجى لامبرسار » ابنة الد اعدائه الذى حطم حياته وأرغمه على التخلى عن ادارة « مجلة الاداب » فى نفس الوقت الذى تظاهر فيه برفض استقالته . كما أنها تدفع الابنة ستللا ـ كما رأينا ـ الى الشك فى أبيها . غير ان هذه المحاولة لا تسفر الا عن نتيجة عكسية ، اذ تنتهى ستللا الى الاعتقاد بأن أباها هو ضحية سوء فهم « ايفيلين » له .

وشخصية « ايفيلين » شخصية معقدة ، ويمكن اعتبارها ـ بمعنى من المعانى ـ الشخصية الـ antagonist فى المسرحية ، فبالأخطاء التى تقع فيها ، وبضروب المقاومة والعناد التى تبديها ، تكشف لنا عن الموقف الصحيح الذى يهدف اليه الكاتب ، « وبضدها تتميز الاشياء » كما يقولون . فهى تسعى الى السعادة والى اسعاد غيرها ، ولكنها تسلك الطريق الخاطىء ، وهى تتخذ لها شعارات ، ولكنها لا تعمل بها ، وهى تتهم « أميدية » بأنه لا يضع نفسه فى موضع الآخرين ، على حين أنها هى التى تفعل ذلك ، فهى تريد مثلا اسعاد « ستللا » ، ولكن على طريقتها الخاصة التى لا ترضاها « ستللا » ، وهى تقتحم نفسها فى شئون غيرها وكأنها مسئولة عن الجميع ، ولكنها لا تفعل فى الواقع الا اسقاط نفسها على الآخرين . وربما كان ارتيابها فى « أميدية » راجع الى اعتقادها بأن اباها قد قتل أمها بحرمانها من الحنان والرعاية كما تقتل

الزهور حين نمنع عنها الماء . وحقدها على احدى صديقات « اميدية » وهي « مدام دى بويجرلان » ـ يدفعها الى اسقاط هذا الحقد على ابن تلك السيدة وهو « آلان »، فتعارض رغبته فى الزواج من « ستللا معارضة شديدة ، على الرغم من أن « أميدية » يرآه شابا مناسبا لابنته ، بل وبما كانت هذه المعارضة كيدا جديدا لأميدية حين شعرت بأنه يحب ذلك الفتى « آلان » . وأساس سوء التفاهم بين « ايفيلين » و « أميديه » هو أنها لم تحبه منذ البداية ، بل رضيت به زوجا لانها كانت فى حالة من الضياع حين التقت به وبأسرته ، فاحست كأن « ستللا » و « آرنو » قد تبنياها . ولكنها لا تلبث أن تضيق بحياة العزلة والتأمل التى تحياها تلك الأسرة ، وتشعر أن الجو فيها ثقيل الوطأة . وحين يتهمها « أميدية » بانها تتصف بالصرامة والعناد ، وبنوع من العتمة الباطنة ، تسأله متهكمة : أين كانت شفافيته العجيبة فى البصيرة حين عقد على زوجته الأولى ؟

ايفيلين : آه ! هنا تخونك ذاكرتك ، يا اميدية . ففى الايام الأولى من زواجنا .. (تضحك) استطيع أن أؤكد لك أنك لم تدع مناسبة لاصطحابى وراءك داخل تلك المملكة الخاصة .. بل كنت تغرينى بتوجيه الأسئلة اليك ـ ولم تتخذ هذا الموقف الجديد الا لأننى لم أرحب بأسرارك كما كنت تتمنى تماما .. اجل ، لأنك شعرت بأننى أقل استعدادا للعطف عليك ، من العطف على .. ضحيتك ، أجل ، وأنا مصرة على ما أقول ... ضحيتك ... » (الفصل الثانى ، المنظر الثانى) .

وشخصية « أميدية » لا تقل عن ذلك تعقيدا . فهو يبدو لاول وهلة شخصا متحذلقا ، يعشق العبارات الطنانة ، والألفاظ الضخمة المتقعرة ، ويميل الى نقد كل شيء والسخط على كل شيء ، ولكننا لا نلبث أن تكتشف تحت هذا المظهر الذى يتسم بالغرور نفسا شديدة الشقاء والتعاسة والوحدة .. ففى حوار بين « ايفيلين » وابنه « آرنو » يدفع الابن عن الأب تهمة انشغاله بنفسه فيقول :

آرنـو : مشــــغول بنفسه . ألم يخطر ببالك قط أن هذه سمة شخص هش جدا ، أعزل جدا ، لهم جدا أيضا ، وأشد ما يكون تعاسة .؟

ايفلين : لا أعتقد أن والدك قادر على الالم ـ على ما أسميه أنا بالألم .

آرنـو : ما تسمينه انت .. لابد لك من آلام مدموغة ، يا ايفيلين .. ثمة آلام اخرى،

كما توجد أمراض لم يُعْرف لها اسم بعد ، ولكنها ليست أقل فظاعة . أما انا فأعتقد أن ابى رجل شقى الى أبعد حد ، وان شقاءه ليزداد بقدر ما تقل معرفته به . وذلك النوع من الظمأ المُبْهم الذى يلتهمه ، هو نفسه لا يعرف عنه شيئا — والسبب هو أنه التهمه فلم يُبْقِ منه شيئا . (الفصل الثالث — المنظر ٩)

وفى هذا المنظر نفسه يقول « آرنو » :

آرنو : اتعتقدين اننى لا أرى نفسى مذنبا حياله ؟ انه بالنسبة لى أشبه بجزيرة لم أجد بعد وسيلة للوصول اليها . وانى لأصلّى كل يوم لبلوغها ... ثم اننى — يا ايفيلين — مهما بدا ذلك غريبا جدا — لم أدرك شقاءه الا فى هذه اللحظة ، وبعد احتكاكى بك .. والشىء الغريب جدا ، هو انك لمحت شقاء ستللا ، ولكنك لم تكتشفى شقاءه هو ، مع أنهما متشابهان.. ولا ينفصلان. (الفصل الثالث — المنظر ٩) .

أما ذلك الظمأ الذى يلتهم نفس « أميدية »، فلعله « توافق الانسان مع نفسه .. أو « نوع من الحالة الموسيقية تكون فيها الروح » على حد تعبيره (الفصل الثانى ، المنظر الأول) . أو لعله حب الانسان لمصيره amor fati كما يقول فى مشهد آخر ، أو ضرب من الثقة المطلقة يتطلبها من الآخرين . ومن هنا كانت ثورته على ايفيلين حين تشككت فيه : « ... وكأن ما أقوله موضع ارتياب ، وكأنك تشعرين بالحاجة الى التحقق من صدقه ، ومراجعته على أقوال الغير .» (الفصل الاول ، المنظر الرابع) .

ومن سلوكه فى المسرحية نرى أنه يأخذ الأمور مأخذا مأساويا ، وللمبالغة فيه أوفى نصيب ، فهو « يمسرح » اتفه الأحداث ، « ولا يرى حيثما ولى وجهه سوى اهانات شخصية ، وهو « أكثر أهل الارض حساسية » (هذه العبارات جاءت على لسان ماجى لمبرسار (الفصل الاول — المنظر ٨) وهو يقول عن نفسه : «ثمة ضرب من الافراط — سواء أكان معقولا أو لم يكن ، يحوز دائما على اعجابى » (الفصل الأول — المنظر ١٣) .

و « أميدية » لا يعترف بالسعادة ولا بالمتعة . فالسعادة عنده كلمة من تلك الكلمات الكبيرة الجوفاء التى لا تحمل معنى . أما « المتعة » فلا تحتل مكانا أيا كان نوعه فى وجوده الخراب .

وخلاصة القول اننا نشعر بأن « اميديه » شخص وحيد جدا .. وانه جدير بالعطف حقا لأنه يعيش بالقلب ، وبالقلب وحده ، ولا يقبل أنصاف الحلول .

وعلى عكسه تماما نرى أمه « مدام شارتران » التى لا تسعى الا الى الاستمتاع بحياتها على قدر الامكان ، وهى لا تحيا بالقلب ، وانما بالعقل ، حتى الاحسان تحب أن يتم على مسافة ، وبذهن مستريح ، وتعتقد أن المرء لو ترك لخياله العنان ، فهو هالك لا محالة . وهى سيدة متحررة مستنيرة تقرأ « فولتير » و « رينان » ، وبها اصرار شديد على مواصلة الحياة دون الانسياق وراء العواطف أو الخضوع لها . وفى حوار بينها وبين أميدية تقول :

مدام شارتران : هذا أمر غاية فى البساطة .. أعنى القدرة على الاستمتاع . فأنا شخصيا لا استيقظ من نومى دون أن أقول لنفسى أولا : يا صغيرتى اميلى، ماذا تستطيعين أن تفعلى اليوم لامتاع نفسك ؟ ودائما أجد ما يجلب السرور الى نفسى . وفى اليوم الذى لا أجد فيه بغيتى ، لا يبقى أمامى الا اللحاق بأجدادى بأسرع السبل.. هيه، هيه ...

اميديه : ولكن ، الا تعتقدين مع ذلك أن التفكير فى الآخرين ... ؟

مدام شارتران : خطير . فنحن لا نستطيع بكل تأكيد أن نمتنع عن التفكير فى الآخرين. ولكن ينبغى ألا نسعى الى اسعادهم على الرغم منهم ، كما لا ينبغى ــ على الأخص ــ أن نضع انفسنا فى مكانهم ، فليس هذا ممكنا ولا طبيعيا . اننى أؤمن ــ فى الحياة ــ بالمقاعد ذات الأرقام . اليك ايفيلين مثلا ــ انها لم تفهم بعد هذا ، وذلك ما يجعلها غير محتملة فاذا عرفنا ــ بالاضافة الى ذلك ، أنها كانت تريد أن تكون مشرفة اجتماعية .. أدركنا أنه حب التدخل ، ولا شىء سواه . » (الفصل الثانى ، المنظر ٤)

أما « آرنو » الابن ، فهو روح الايمان التى ترفرف على هذه المسرحية ، انه يتخذ فى كل تصرفاته موقف انكار الذات ، ولا يلتهمه ذلك الشعور بالقلق والفضول الذى يلتهم أخته « ستلا » . انه يتمتع بحالة نادرة من صفاء النفس ، والتعاطف مع الآخرين . فهو باختصار لا يمكن تصوره بدون ايمانه ، ومع ذلك ، فانه لا يتحدث أبدا عن ايمانه ، انه أشبه بشخص يحمل شيئا رائعا لا يراه احد سواه ، وليس

من المسموح للآخرين الا أن يلمحوا انعكاس هذا الشيء فى عينيه . وتتهمه « ستللا » بأنه معتصم بنفسه دائما وبأنه منعزل عن الحياة ، وعندها أن يحيا المرء الحياة أشد عسرا من تلك العزلة التى يضربها أخوها حول نفسه .

ونقاء سريرة « آرنو » ، ونفاذ بصيرته ، وشفافيته ــ أو « أنواره » على حد تعبير « ايفيلين » ــ هى التى تجعلنا ننفذ الى أعماق الشخصيات الأخرى ، كما أن هذه الأنوار نفسها هى التى تهدى « ايفيلين » الى الصواب بعد أن تزعزع يقينها واهتزت توكيداتها التى لا أول لها ولا آخر .. ويكاد فى المشهد الاخير من المسرحية أن يضع يدنا على السر فى وفاة والدته حين يقول :

آرنــو : طالما تساءلت : ألا يمكن أن يكون أبى هو الذى أوحى اليها ــ فى الواقع ــ بهذه الفكرة ؟

ايفيلين : ماذا تعنى ؟

آرنــو : لأنه كان يتوقع ببساطة أن تقوم بها ، لأنه كان فى حاجة اليها .. أتفهمين ؟ وكأنما كان لابد من وقوع حادث ليبرر فى نظره الشفقة التى يشعر بها نحو نفسه .. وربما كان أولئك الذين نسميهم مجرمين ، ليسوا فى بعض الأحيان سوى .. مفتونين . ولكن هذه الجريمة المستعارة التى لم تستطع التعرف فيها على نفسها .. اعتقد انها قد عزلتها عن نفسها .. وهكذا اضطرب عقلها .. وضاعت حقا . (الفصل الثالث ، المنظر ٩)

وتسرع الأحداث فى المسرحية بمحاولة الانتحار التى أقدم عليها « آلان » بعد ان بعث الى ستللا بخطاب يطلبها فيه للزواج . ولكنه لم يتمهل حتى يتسلم الرد ، مع ان ستللا كانت قد قررت قبول طلبه ذاك حين أحست أنه يحبها حقا ، وانها فى حاجة الى هذا الحب . وتشاء المصادفة أن ينقذه « أميديه » من هذه المحاولة فى اللحظة الأخيرة .

ولعل أروع لحظتين فى هذه المسرحية ، هما اللحظتان اللتان تثوب فيهما كل من « ايفيلين » و « ستللا » الى الحب : الأولى الى حب زوجها الذى لم تنصفه ولم تفهمه ، والثانية الى حب « آلان » . تقول ايفيلين لآرنو :

ايفيلين : أجل ، ربما اخطأت على سبيل الكبرياء .. انظر ، اننى أوافق على ذلك ،

ولا اتشدد . ان الطريق الذى سلكته حتى الآن لم يؤد بى الى أي مكان . احب أن أغير طريقى . وما دمت تتمتع بأنوار حرمت على ، فلماذا لا تقبل ارشادى ؟ سأكون طيعة .. متواضعة ، أؤكد لك . وربما تعلمت أن أكون أكثر التصاقا له (تقصد اميدية) — ما دمت تعتقد أننى غدرت به .. وانى لعلى يقين فى هذه اللحظة من أنك على صواب .. » (الفصل الثالث — المنظر ٩)

وهنا يعلن لها آرنو انه سيدخل فى سلك الرهبان خلال بضعة أسابيع .

اما ستلا فتقول لآرنو أيضا :

ستللا : لست أدرى ، كل شىء قد اختلط .. اختلاطا مستعصيا فى داخلنا نحن ، وفى خارجنا . انى لأتمثل « الآن » راقدا على تلك الصخرة ، خائر القوى ، يائسا .. وأراه غدا سعيدا .. بل يكاد أن يكون مجنونا .. ولا أريد من بعد ، أن أتذكر كم ضايقنى فى كثير من الأحيان ، وأثارنى .. انى أمحو هذا كله .. فاهم ... »

وتنتهى المسرحية نهاية سعيدة يعلنها أميدية بقوله :

أميديه : يا طفلى المسكينين هنـاك لى لحظات موفقة ، يتألف فيها نظام لا تلتقطه غير الأذن المرهفة ، البالغة الدقة .. (الفصل الأخير ، المنظر الأخير)

ولا يسع المرء بالنسبة لهذه المسرحية الا أن يتعاطف مع شخصياتها جميعا على الرغم من مواطن الضعف فى كل شخصية ، لأنها فى حقيقة الأمر شخصيات انسانية من لحم ودم ، ومن الممكن أن يقع المرء فيما تقع فيه من أخطاء وعثرات ، وأن يتعرض لتلك المشكلات الحارقة ، والمحن الرهيبة التى تعرضت لها .

شخصيات المسرحية

اميدية شارتران	(٥٠ سنة)	Amédée Chartrain
آرنو شارتران	(٢٤ سنة)	Arnaud Chartrain
آلان دى بويجرلان	(٢٣ سنة)	Alain de Puygeurland
ايفيلين شارتران	(٢٤ سنة)	Eveline Chartrain
ستللا شارتران	(٢٠ سنة)	Stella Chartrain
مدام شارتران	(٧٢ سنة)	Madame Chartrain
مدام دى بويجرلان	(٤٨ سنة)	Madame De Puygeurland
الآنسة فرو	(٦٠ سنة)	Mademoiselle Freux
ماجي لامبرسار	(٣٢ سنة)	Maggie Lambersart

تمهيد

ظهرت هذه المسرحية سنة ١٩٣٨ تحت عنوان « الظمأ » في مجموعة Les Iles عند الناشر « دسليه دي بروويّه » .

وتحاشيا لاى خلط مع مسرحيــة « هنرى برنشتين » التى ظهرت قبل مسرحيتى بعشر سنوات ، والتى تحمل نفس العنوان ، وبناء على طلب مسيوليچين Lejeune مدير « مسرح المنتزه » فى بروكسل الذى كان مكلّفا بتفيذ المسرحية فى أكتوبر ١٩٥٢ ، وافقت على أن استبدل بالعنوان الأصلي عنوان « القلوب النهمة » .

وتحت عنوان « الظمأ » ، عرِضت هذه المسرحية على الجمهور لأول مرةتحت اشراف « نادى البروفانس » فوق مسرح « الچمناز » بمارسيليا فى ٦ مارس ١٩٤٩ .

جبرييل مارسل

الفصل الأول

تدور حوادث المسرحية عــام ١٩٣٧

غرفة فسيحة الجنبات في منزل ريفي ، على بعد مائة كيلو مــن باريس .

المنظر الاول

مدام شارتران وستللا

مدام شارتران : (بانفعال) — عيناى ! عيناى !

ستللا : (تناولها نظارتها في هدوء) ، هاهى ذى ياجدتى .

مدام شارتران : شكرا ، يا بنيتى . (وكانت قد وضعت على المنضدة مفكرة من القماش المشمع ، وقلماً من الرصاص .) ها أنذا مصغية إليك .

ستللا : (تقرأ) — « مدام ف . . . ، التى مازالت أرملة تعول ثلاثة أطفال ، أكبرهم في السادسة من عمره . . . »

مدام شارتران : رقمهـــا ؟

ســـتللا : خمسمائة وثمانية وسبعون .

مدام شارتران : أعيدى علىّ هذه الفقرة .

ســـتللا : مدام ف . . . التى مازالت أرملة تعول ثلاثـــة أطفال ، أكبرهم في السادسة من عمره — تعانى في الوقت الحاضر أشد ضروب الحرمان . ولاحق لها في إعانة البطالة ، ولما كان زوجها قد أدمن الشراب . . . »

مدام شارتران : قلنا انها أرملة ! . . . هذه ركاكة في التحرير .

ســـتلا : فانه لم يتفاد في الوقت المناسب ، سيارة أقبلت عليه . . . »

مدام شارتران : فهمت . . عائلة من مدمنى الخمر لاأرى فيها أمـــلا كبيراً . . عشرون مـــن الفرنكات . (تكتب في مفكرتها) .

ســـتللا : ولكن ، ياجدتى . . .

مدام شارتران : إلى ما بعدها .

ســـتللا : (تستأنف القراءة) — « الآنسة ى . . »

مدام شارتران : وهذه رقمها خمسمائة وتسع وسبعون

ســتللا : « . . . صماء بكماء منذ مولدها ، وعلى وشك أن تفقد بصرها . »

مدام شارتران : هذه حالة طريفة . تمهلى في قراءتها يا ستللا .

ســتللا : » وقد عاشت حتى الوقت الحاضر بفضل معونة مادية تسديها إليها إحدى قريباتها البعيدات ، غير أن نكبة مالية نزلت بهذه السيدة ، حالت اليوم دون استمرارها طويلا في تلبية احتياجات تلك الفتاة . . التى أصيبت فضلا عن ذلك بروماتزم المفاصل . . . »

مدام شارتران : حالة ميؤس منها . . لاسبيل إلى تداركها . . وخير مانسديه إليها أن نقدم لها قليلا من السيانور .

ستلا : جدتى !

مدام شارتران : إن مفعوله فورى . صدقينى ، إنه الحل الذى سوف نصل إليه يوما ما . . فما برحت هناك معتقدات زائفة ينبغى القضاء عليها .

ستللا : لا أعتقد أن مثل هذه الأمور من قبيل المعتقدات الزائفة .

مدام شارتران : انك لا تتمتعين بأى حس اجتماعى ، يا صديقتى

الصغيرة ، وليست هذه أول مرة ألاحظ فيها ذلك . ومهما يكن من أمر ، فأنتم — هاهنا — رجعيون جميعا . . هيا . . إلى الحالة التالية . . .

ستلا : (تواصل القراءة) « مسيون . . . اسرائيلي ، من اللاجئين الألمان . . . »

مدام شارتران : لقد منحت جمعيتهم خمسين من الفرنكات . في هذا اذن ازدواج .

ستلا : مدام س . . التي مازالت أرملة ترعى ثلاثة اطفال . . . »

مدام شارتران : مرة أخرى !

ستلا : إنها ليست نفس الأرملة السابقة . » . . . ستجد نفسها مرغمة على الانفصال عنهم ، إن لم تسارع إلى عونها . »

مدام شارتران : هذا الكلام غاية في الغموض .
(يفتح أميدية الباب القائم عند مؤخرة المسرح ، ويبقى بلا حراك)

ستلا : (تواصل القراءة) « وهم يعيشون الآن في غرفة غير صحية ، تطل على فناء صغير ، وينام الأطفال الثلاثة على فراش واحد . » (يشغل

امدية سعلة خفيفة ، فتلتفت إليه ستالا) ماذا هناك يا أبى ؟

أميــديه : (بعد هنيهة) لا أميل إلى زهرات الشقاء . [1]
(يخرج)

مدام شارتران : ماذا قال أبوك ؟ لم أحسن الاستماع .

ســتلا : (في شيء من الحرج) كلمة حول هذه النشرة .. جدتى ، أأنت واثقة أن ما نفعله ، يفيد في شيء ؟

مدام شارتران : كيف ؟

ســتلا : هذا التدقيق في الفحص .. لا أدرى .. حين أتمثل كل هؤلاء التعساء ... أشعر . .بالخجل

مدام شارتران : (في قسوة) اوترك المرء لخياله العنان فإنه يتوه . .فلا ينبغى أن يتم الاحسان إلا عن بعد ،وبذهن مستريح .

ســتلا : أجل ولكن ... ربما لايصبح هذا احسانا .

مدام شارتران : يبدو عليك الارهاق ، ياصديقتى الصغيرة ، ولست على مألوف عادتك في أيام الأربعــاء الماضية .. أهناك شيء لايسير على ما يرام ؟

---

(1) Les Heeri legis de maiheur

أنت تعلمين ياستللا ، أنني لاأحب الأسرار .

ســتللا : أؤكد لك يا جدتي ، أنه لاشيء هناك على الاطلاق

مدام شارتران : في هذه الحالة فلنستمر .

المنظر الثاني

نفس الأشخاص ـ ايفيلين

(تقلب إيفلين أشياء مختلفة ، ومن الواضح أنها تبحث عن شيء فقدته)

إيفيــلين : أرجو المعذرة ياأماه . . لاداعي للانزعاج .

مدام شارتران : (مستاءة) كيف تريدين ياإيفيلين أن نقوم بعمل بعمل جاد على حين نقاطَع في كل لحظة ؟

إيفيــلين : (تتجه بالحديث إلى ستللا) ألم تقع عيناك — ياعزيزتي — مصادفةً — على شغلي ؟ فلست أدري أين وضعته .

ســتللا : لعلك تركته في الحديقة مساء أمس .

زيفيــلين : أتعتقدين ذلك ؟ (تلمح احتداد مدام شارتران، فتطلق ضحكة صغيرة) هذه حماقة .

مدام شارتران : بل إن أقل مافيه هو أنه يثير الغضب . . ويبدو

أن الوقت لاقية له عندك ، وهذا شيء غريب ، يـــا ايفيلين بالامس حسبت الوقت فوجـــدت أنك أنفقت ثماني عشرة دقيقة في البحث عـــن منديلك ، وقفازك . .

إيفيـــلين : جائزه .

ســـتللا : أرجو أن تأذني لى بالانصراف ، ياجدتى . . .

مدام شارتران : (حانقة) لماذا ؟

ســـتللا : الواقع . . . أنك لست في حاجة إلىّ .

مدام شارتران : (في تهكم مرير) لامفر من أن افقأ عينى في هذا النص المطبوع بحروف باهتة جدا ، ودقيقة جدا . . وأنت مع ذلك تعلمين مانصحنى به ـ طبيب العيون . ولكن ، الأمر يستوى لديك . . هل استطيع الاعتماد عليك ـ على الأقل ، في إلقاء الحوالات في صندوق البريد ؟

إيفيـــلين : تستطيع روز أن تقوم بهذه المهمة ياأماه .

مدام شارتران : أنت لا تشغلين فكرك بهذه المسألة يا إيفلين . إن حساباتي ليست من اختصاص الخدم .

(تخرج غاضبة)

المنظر الثالث

ستللا ـ ايفيلين

ســتللا : مسكينة جدتى !

ايفيـــلين : أجل ، يبدولى أن حالتها زداد سوءا هذه الأيام .

ســتللا : أراك تتحدثين عنها كما تتحدثين عن مرض من الأمراض .

إيفيـــلين : ومع كل هذا ، تتمتع بحيوية خارقة .

ســتللا : هذا صحيح .

إيفيـــلين : حيوية بعض الأشخاص المُحنطين تماما فى مواقف أخرى .

ســتللا : المحنطين ؟

إيفيـــلين : صدقينى يا ستللا ، إن تَحَجّر القلب يصون الحيوية على نحو عجيب . أبى ـ مثلا ـ كان يمكن أن يُعَمر مائة عام ، لولا تلك الحادثة المشئومة .

ستللا : أكان مولعا بالحياة

إيفيـــلين : هذا أمر صعب الحكم عليه . إن حب الحياة ،

ضرب من السخاء ، لا يوهب لكل الناس . .
وقد كان يتمسك بالحياة تمسكه بكتبه ، وأوراقه .
فلندع الحديث عنه ياقطتي الصغيرة . . هذا أفضل . .

ستللا : وأمك ؟ قلما تتحدثين عنها .

إيفيلين : أمي . . لقد كانت شيئا مختلفا . بددت حياتها أولا في سبيل أمها التي كانت مخلوقة جهنمية ، ثم في سبيل زوجها من بعد . . . لقد قتلها .

ستللا : أوه !

إيفيلين : قتلها على مهل : وفي كامل وعيه .

ستللا : ماذا تعنين بكلمة قتلها ؟

إيفيلين : كما تقتل الزهور في الآنية . . إذ تعمدنا ـ بكل عناية ـ ألا نعطيها ما تحتاجه من ماء . . .

ستللا : يا للبشاعة ! . . . ولم يساوره . . . الندم قط ؟

إيفيلين : أى أنه أعتبر موتها إهانة شخصية .

ستللا : (بعد هنيهة) كثيرا ماتساءلت عما كان سيحدث لو لم تحضرى إلى « سيلفا بلانا » في تلك السنة التي كنا نحن هناك . . .

إيفيـلين : لو لم ألتق بكم — اى ستللا — لرحلت . فقد عقدت عزمى على الرحيل ، إذ علمت أن في إمكانى السفر إلى فيينا في مقابل أداء عمل ما . وكنت أستطيع اعطاء دروس في اللغة الفرنسية . . حتى لا أكون عالة على أحد .

ستللا : وهل تتركين والدك دون تردد ؟

إيفيلين : دون أدنى تردد يا عزيزتى . .

ستللا : ودون أن تنحى على نفسك باللائمة فيما بعد ؟

إيفيلين : أيتها الحالمة الصغيرة ! دون لوم على الاطلاق .

ستللا : نحن غير متشابهتين .

إيفيلين : لحسن الحظ ، يا حبيبتى .

ستللا : بالنسبة لمن ؟

إيفيلين : ربما كان من حسن حظك أنت ، ولكنه بكل تأكيد ، من حسن حظ الآخرين .

ستللا : (متابعة تفكيرها) ونحن ، لو لم نلتق بك ، نحن الثلاثة . . تصورى الأسابيع العصيبة التى كان

أن يجتازها في تلك اللحظة . . . لولاك ! . . .
كان في أشد الحاجة إلى من يفهمه. كنا نقتاه أحيانا
على غير وعي منا ــ بكلمة نقولها ــ أو لا نقولها .

إيفيلين : (في عذوبة) صدقيني ، انه لاداعى للقلق .

ستللا : انك تعرفين دائما كيف تبصرين ماهو خطير ،
وما هو تافه . . مثل آرنو . .

إيفيلين : (في حزن) ثمة اختلاف كبير بين أخيك وبيني ،
تنسينه يا حبيبتي .

ستللا : أعرف ذلك حق المعرفة ومن حسن حظ آرنو أن
يكون على مثل تلك الثقة ، تلك . . .

إيقيلين : أجل . . . وان كان من الاجحاف به ان ــ
نتحدث عن حظه . . فالحظ الذى يواتينا ، يمكن
ألا يأتى ومن الممكن أيضا ان يتحول عنا .

ستللا : هذا حق ، فليس من الممكن ان نتصور آرنو
دون ايمانه ، إنه لن يكون حينئذ آرنو ، ولن
يكون هناك في تلك الحالة . .

إيفيلين : ومع ذلك ، فهو لايتحدث عن إيمانه ابدا ، إنه
أشبه بشخص يحمل شيئا رائعا لايراه أحد سواه ،

وليس من المسموح للآخرين إلا أن يلمحوا — انعكاسه في عينيه . . بيد أن هذا وحده شيء كثير .

ستللا : وحتى لو عاش المرء دائما في صحبته ، لما كان في ذلك أى عون . . . بل قد يجد في هذه الصحبة أحيانا شيئا من الضيق .

إيفيلين : ثمة شيء يشغلك — أى ستللا — ولقد أحسست به على الفور .

(فترة من الصمت)

ستللا : (في صوت مختنق) أوثر ألا أتحدث عنه ، حتى لو كان ذلك إليك أنت .

إيفيلين : لك ما تشائين ياحبيبتى .

ستللا : أنت تفهمين . . .

(تتوقف عن الكلام)

المنظر الرابع

نفس الأشخاص — اميديه

أميديه : (يتحدث وعيناه نصف مغمضتين) — ما كنت أريد أن ينشأ بيننا سوء تفاهم .

(مخاطبا ستللا) من المحتمل أنك أعدت على سمع والدتى الجملة التى تفوهت بها منذ لحظة ؟

ستللا : أية جملة ياأبى ؟

أميديه : ليس من اللائق أن يستشهد المرء بنفسه ، ويحسن بك أن توفرّى على ذلك العناء .

ستللا : أؤكد لك أننى لا أتذكر شيئا على الاطلاق . . .

أميديه : (بعد فترة صمت) هاقد مضى يومان نسوا فيهما افراغ سلتى للمهملات ، وكنت أفهم أنك أنت التى تتولين هذا العمل ياستللا .

ستللا : يخيّل إلىّ أنه لاوجود لقاعدة .

أميديه : أو ليس هذا أمرا يدعو إلى الأسف ؟

ستللا : آه ! تذكرت الآن . لقد قلت إنك لا تحب « أضرار » الشقاء [1]

أميديه : (في عصبيه بالغة) — لم أقل « أضرار » ، بل قلت « أزهار » وليس معنى هذا — إطلاقا — أننى ألومك على ماتبدينه من رحمة بأولئك البؤساء الذين وقع عليهم الاختيار . . .

---

(1) Les Lrrilege du Welheum

إيفيلين : أميديه !

أميديه : ثم ماذا ؟ ربما كان من الطبيعى أن أشخاصا في ميعة الصبا ، أو — واأسفاه ! — ينحدرون إلى الشيخوخة كوالدتى . . .

إيفيلين : (إلى ستللا) ألم تتصل ماجى بالتلفون ؟

ستللا : لاأظن . ماذا كنت تقول ياأبى ؟

أميديه : (إلى إيفيلين) إن لك طريقةً محيرة تقطعين بها الحديث ياإيفيلين . من تكون ماجى هذه ؟

إيفيلين : أنت تعرفها تمام المعرفة ياأميديه .

أميديه : ومع ذلك ، أعتقد أنك لاتقصدين الآنسة لامبرسار .

إيفيلين : أنا لاأعرف غير ماجى واحدة .

أميديه : وكان ينبغى . . على تلك الفتاة أن تتصل بك تلفونيا ؟

إيفيلين : أجل .

أميديه : وكان من المتفق بينكما أن تطلبك بالتلفون ؟

إيفيلين : ولمَ لا ؟

أميديه : فقد كان أمرا مُرَتّباً ؟

إيفيـــلين : وماذا بعد ؟

أميـــديه : قد يحدث ان أرد على التلفون يا ايفيلين . . وعلى هذا النحو أخاطر بأن أجد نفس في حضرة . . . .

إيفيـــلين : ولكنها في الطرف الآخر من الخط .

أميـــديه : لاداعى للتلاعب بالألفاظ . . أجد نفسى في حضرة شخص يمت بصلة القرابة الى الرجل الذى حَطّم حياتى بوسائله الوضيعة ؟ إيفيلين ، أتدركين ما يمكن أن يسفر عنه هذا الأمر ؟

إيفلين : تستطيع في هذه الحالة أن تناولنى السماعة .

أميـــديه : ولكن الأدهى من ذلك ــ على وجه الخصوص ــ أن تظل علاقاتك موصولة بابنة ألد اعدائى !

إيفيـ لين : سبق إليك قولى بأن هناك ــ بلاشك ــ قدراكبيرا من سوء التفاهم .

أميـــديه : كلا ، يا إيفيلين ، لا وجود لسوء تفاهم ، لا وجود لأدنى سوء تفاهم .

إيفيـــلين : على المرء أن يتعرف أيضا على رنّة الجرس الأخرى.*

---

* كتابة عن اقوال الطرق الاخر ، وهي بالفرنسية Lo'antre Son de Chocke

(يرفع أميديه راحته إلى وجهه وكأن أحدا يهم بصفعه)

أميـــديه : وهكذا يكون عذابي ومهانتي وثورتي .. مجرد رنة جرس أخرى ... ؟ وكأن ما أقوله موضع ارتياب ، وكأنك تشعرين بالحاجة إلى التحقق من صدقة ، ومراجعته على أقوال الغير ...

إيفيـــلين : ولم لا ؟ وهذاهو سبب تلهفي على الحديث مع ماجي .

أميـــديه : وأين قررت الالتقاء بهذه الانسانة ؟ على أرض محايدة ، على ما أعتقد ؟

إيفيـــلين : ولم لا يكون اللقـــاء هنا ؟

أميـــديه : آه ! كلا ، يا إيفيلين ، ليس هنا ، لن يحدث ذلك عندي ، وتحت سقف بيتي .. وإلا ، انسحبت أنا من هذا المكان ، انسحابا نهائيا لا رجعة فيه .

ستـــللا : حسبك يا أبي ، لا تأخذ الأمور هذا المأخذ المأسوي . فاني على يقين تام من أن إيفيلين ستتخلى طواعية واختيارا عن هذا الموضوع في

اللحظة التى تشعر فيها أن هذه المحادثة تجشمك أى عناء .

أميـــديه : لست أدرى – ياطفلتى – لم تصرين على قولك « إيفيلين » ، وأنت تعلمين أن هذا يصدمنى ؟ لقد رجوتك أكثر من مرة أن تناديها بمامى .

ســـتللا : اسمع يا أبى ، ان هذا لا يتفق مع شعورى نحو إيفيلين ، وسيكون ذلك مصطنعا .

أميـــديه : مصطنعا ! الأدب شىء مصطنع ، والتهذيب شىء مصطنع . .

إيفيـــلين : لاتصر على ذلك يا أميديه ، وحتى لو ارتضته ستللا ، فلن أرتضيه انا . كيف غاب عنك أن التدخل في هذه المسألة لايعنيك ؟ ثم ، انها مسألة صبيانية ، في نهاية الأمر.

أميـــديه : ثمـــة شىء من الترخص في العلاقات الشخصية لن أسمح به أبدا في بيتى . .والحق ، أن هذه المسألة على أكبر جانب من الخطورة.

ســـتللا : ولماذا يا أبتى؟

أميـــديه : لأن هذه علامة أخرى على حالة الانحلال التى يوغل فيها هذا البلد التعس يوما بعد آخر .

ستللا : أنا لا أفهم شيئا . .

أميديه : لو أنك – ياطفلتي المسكينة – بدلا من أن ترتعي في تلك المطالعات المهوشة الشائكة ، كنت قد بذلت جهدا منهجيا – وذكيا – لدراسة تاريخ تقاليدنا ومؤسساتنا . .

المنظر الخامس

نفس الأشخاص – آرنو

آرنو : صباح الخير عليكم جميعا . التقيت من توى بماجي ، يا إيفيلين ، وقد كلفتني بأن اخبرك انها ستحضر بعد ساعة – من الآن – لرؤيتك .
(يتجه أميديه إلى الباب القائم في المؤخرة .)
لماذا تمضي يا أبي ؟ ؟

أميديه : أمك وأختك تعرفان رأيي في هذه الزيارة . – وأعتقد أنني قد عبرت عن نفسي منذ لحظة في عبارات واضحة بما فيه الكفاية . غير انني اضيف لعلمك الخاص – بما أنك كنت محيطا بالحوادث التي تعاقبت في هذه الشهور الأخيرة ، فقد كان من واجبك أن تفهم تلك المعتوهة ما ينطوي عليه سلوكها من مجافاة للذوق .

إيفيـــلين : المسألة ليست مسألة سلوك يا أميديه ، انت — تحلم . . وماجى صديقتى ، ولاأجد ماألومها عليه . وإذا كان يروق لك الآن أن تذهب للقيام بجولة أثناء وجودها هنا ، فانى لا أرى في ذلك — من جانبي أية مجافاة للذوق .

أميـــديه : ألف شكر على لطفك . . .

مدام شارتران : (وقد ظهرت في المؤخرة ، ومن الواضح انها جـهّزت نفسها كما لو كانت تتأهب للقيام برحلة بعيدة) سأذهب إلى مكتب البريد .

أميـــديه : (إلى إيفيلين) إن نتائج موقفك يمكن أن — تكون . . بغير حدود .

إيفيـــلين : لم يكن من طبعى أبدا أن أخشى ماكان بغير حدود يا أميديه .

مدام شارتران : أكرر عليكم قولى بأنى ذاهبة بنفسى إلى مكتب البريد ..

آرنـــو : لاداعى للعجلة ياجدتى ، فالبريد لايصدّر قبل هذا المساء .

مدام شارتران : إنها مسألة مبدأ ؟

أميــديه : ماما ، انتظرى لحظة من فضلك ، وسأصحبك.

(يخرجان)

المنظر السادس

ايفيلين ـ آرنو ـ ستللا

إيفيــلين : (في مســرح) ينبغى ألا نكتم شيئا يـا أولاد فلنفض بكل شيء .

آرنــو : ماذا حدث إذن ؟

إيفيــلين : (تنظر في الاتجاه الذى خرجا منه) ما اشــد تشابههما ، هذين الاثنين !

ستللا : (مرتاعة) أتعتقدين ذلك ؟

إيفيــلين : إلى أقصى حد .

ســتللا : ماكنت أعتقد هذا قط . فابى مرهف الحس .

إيفيــلين : (في هدوء) أما أنا ، فأعتقد ان بينهما على الاخص . . اختلافا . فلنقل . . في الايقاع .

آرنــو : (ضاحكا) إلام تقصدين ؟

ســتللا : (إلى إيفيلين) تقولين ـ وأنت تضحكين ـ أشياء رهيبة

إيفيــلين : هل ابدو مرعبة ياعزيزتى ؟ ان معرفتك بى الآن تكفى لكى لايراودك الشك في اننى لاأستطيع الامتناع بين حين وآخر عن النظر إلى أقرب — الناس إلىّ ، وكأنهم غرباء ، عابرو سبيل

ســتللا : ونحن ، آرنو وأنا ، أمن الممكن ان تـ .. ؟

إيفيــلين : بكل تأكيد : مجرد عابرى سبيل يشعر نحوها المرء شعورا لاسبيل إلى مقاومته بأن يصيح قائلا : « كم أعجب بكما أنتما الاثنين ! » ففــى طفولتى ياستيللا ، بل منذ ذلك الحين ، عرفت مثل هذه الاغراءات ، دون أن املك إلــى مقاومتها وســيلة .

ســتللا : حتّى مع الرجال ؟

آرنــو : بالطبع ، ولم لا ؟ إننى مثلك يا ايفيلين ، كل ما في الأمر اننى لا ابحث مطلقا عن وسيلةللمقاومة

ســتللا : الامر ايسر بالنسبة للولد . . .

آرنــو : بالنسبة للناس جميعا : مع الشيوخ ، والشبان ، والأطفال ، ولهذا السبب أعشق السفر بالقطار

إيفيــلين : وعند هذا ، سأترككما ، يا أولادى ، إذ

ينبغى أن اهتم بقائمة الطعام ، فقد أزف الوقت
وإذا حضرت ماجى ، فابعثا بها إلى في حجرتى.

(تخرج)

المنظر السابع

آرنو ـ ستللا

ستللا : (في عصبية) عندى أشياء كثيرة أود أن أقولها لك ، وان أطلبها منك ، ولكنك غائب دائما وابدا . ومع ذلك فقد استيقظت هذا الصباح في ساعة مبكرة . . وأنا ، حين تذهب أنت إلى الكنيسة ، لايساعدنى ذلك في شيء .

آرنو : (في رفق) ربما ساعدك ذلك أكثر قليلا مما تعتقدين .

ستللا : أعرف ماترمى إليه ، ولكن ، اذا لم أشعر أنا به ، أنت فاهم . . .

آرنو : أعتقد أنه لاينبغى أن نطالب الكثير من الشعور ، فهذا لاجدوى منه .

ستللا : لقد اصبح الجو ها هنا ثقيل الوطأة ، ولايبدو

عليك أنك لاحظت ذلك ، وان كنت قد سمعت ما قالته إيفيلين منذ لحظة . فاذا كانت قد بلغت هذا الموضع بعد ثمانية عشر شهرا من الزواج . .

آرنـــو : لاأريد مناقشة مشاعر إيفيلين ، فانها لاتخصنا . وفضلا عن ذلك ، من المحتمل ألا نستطيع — فهمها على الاطلاق .

ســتللا : أنت تعتصم دائما بنفسك ، وهذا شيء مريح . . . أما أن يحيا المرء ، فهذا ماأجده غاية في العسر . أترانى أثير شفقتك ؟

آرنـــو : كلا ، وانما أتألم من أجلك .

ســتللا : أوثر أن تهزنى هزا . .

آرنـــو : ولكنك في تلك الحالات ، تتهميننى بأننى أعنفك

(صمت)

ســتللا : (خافضة من صوتها) ستأتى الآنسة فرو لرؤيتى حالا .

آرنـــو : ومن تكون ؟

ستللا : آرنو !

آرنو : آه ، آسف ، لقد نسيت اسمها .

ستللا : ولكن ، أين ذهب عقلك ؟

آرنو : هل كتبت إليك ؟

ستللا : بعثت إلى بكلمة تسلمتها مساء أمس .

(تناوله رسالة)

آرنو : (بعد أن قرا مافيها) ياله من خط عجيب ، وكأنه مزيف .

ستللا : انها هى نفسها مزيّفة ، وأنت تعلم ذلك جيدا .

آرنو : يؤسفنى أنك سترينها مرة أخرى .

ستللا : إنها ترغب في محادثتى . . . وكان من الجبن ألا ألبى رغبتها .

آرنو : ليس بالتأكيد .

ستللا : لماذا ؟

آرنو : هل تبادر إلى ذهنك أنها سوف تحدثك عن أمنا ؟

ستللا : إنى من ذلك على يقين .

آرنو : طيب ، وبعد . . .

ستللا : (في حماس (لا أستطيع أن أفهمك . لقد تعذبنا كثيرا ونحن نسعى إلى التكهن بما حدث في الماضى . . .

آرنو : لم أتعذب .

ستللا : إذن ، فقد كنت تتظاهر . . . ذلك المرض غير المفهوم الذى لم يشأ أحد قط ان يعطينا عنه أية تفصيلات . . وموتها — ياارنو — موتها الذى لم نحط به علما الا بعد انقضاء ثلاثة اسابيع . . . وانت ايضا قد تسلطت عليك هذه الوساوس كلها .

آرنو : كنت اسير في اعقابك ، ان الأمر اشبه بتلك النزهات التى ماكنت اقوم بها بدونك ، على مقربة من «هاشيكور» أو عند المنزل الأحمر.

ستللا : آرنو !، وماوجه الشبه ؟ . . .

آرنو : أعتقد أننى لست فضوليا .

ستللا : ان الأمر يتعلق بأمنا يا آرنو — لا بانسانة غريبة .

آرنو : انه — على كل حال — ضرب من . . . الفضول

ستللا : ليس بالنسبة إلى . . انه نوع من القلق . . من

تأنيب الضمير . فلا أستطيع أن أفكر في أمي كما ينبغي أن يكون التفكير ، ما دمت لا أعرف كيف كانت حياتها .

آرنــو : ولماذا لا تستطيعين ؟

ســتللا : لأنى لا أعرف الصــلاة .

آرنــو : عفوا يا ستللا (يخاطبها في رفق) كل مــا في الأمــر — انى ربمــا لم أكن بالبساطــة التى تتصورينها تماما ، وأؤكد لك . . .

ســتللا : بلى ، يا آرنو ، إنك أشد الناس بساطة . وحتى لو أردت ، فإنك لا تعرف كيف تكذب ، بل تتخبط على الفور كطفل غرير .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص — ماجي

ماجى : صباح الخير ياآنسة . (ثم لآرنو) هل بلّغــت رسالتى إلى إيفيــلين ؟

آرنــو : أجل ، أجل ، وهى تنتظرك .

ســتللا : فلنغتنم فرصة خروج أبى ، فقد يعود بين لحظة وأخرى .

ماجى : أظن أنه لن يلتهمنى إذا التقينا .

ستللا : لا أخفُى عليك أنه كان حاقدا أشد الحقد . . .

ماجى : كيف ؟

ستللا : لا أستطيع أن أقطع برأى فى هذا الموضوع ، ولكنه مقتنع بأنه كان ضحية مؤامرة .

آرنو : حسبك يا ستللا .

ستللا : أنت تعلم حق العلم أننى لا أبالغ .

إيفيلين : (قادمة) حسبت انى أسمع صوتك ، كيف حالك ؟ متى وصلت إلى أورشان ؟

ماجى : منذ مساء أول أمس . ولكن خبرينى يا إيفيلين ، يبدو أن زوجك يتوهم أشياء عجيبة ؟

إيفيلين : سأشرح لك كل شىء ، ولكن ينبغى ألا تأخذى الأشياء مأخذ المأساة .

ماجى : (مشتعلة الاحساس) لأننى ، عندما يتعلق الأمر بأبى ، انت تفهمين . . .

إيفيلين : طبعا ، يا ماجى .

ماجى : أبى كائن لا نظير له . فمن حيث الاستقامة ، ومن حيث الولاء . . . هو شىء رائع . . بل لست

أدرى . . انه شيء سابق على التاريخ .. وباختصار ما الذى يأخذه عليه مسيو شارتران ؟

آرنــو : أظن أن والدى يرى ، سواء أكان مخطئا أم مصيبا

ستـــلا : اسمع ، يا آرنـــو . . .

آرنــو : إنهم قد أرغموه على التخلى عن ادارة « مجـــلة الآداب » ، في نفس الوقت الذى يتظاهرون فيه برفض استقالته.

ماجى : ماذا تعنى بقولك « أرغموه » ؟ كل ما أعرفه أنا هو أن والدك ــ حسب ما يقوله أبى ــ أكـــثر أهـــل الأرض حساسية ، وهو يمسرح اتفـــه الأحداث ، ولا يرى حيثما ولى وجهه ــ سوى اهانات شخصية ــ وانتهى الأمر بأبى ــ الذى هو الصبر ذاته ، أن طفح منه الكيل ، فكان من الطبيعى جدا . . .

المنظر التاسع

نفس الأشخاص ــ اميديه

أميـــديه : أهنئك يا آنسة ، فها أنت تأتين إلى بيتى لتبصير أهلى بعيوبى : وهذا تصرف غاية في الرقة ، وخليق

بالزمن الذى نعيش فيه. تهانئى ، يا آنسة . من الحق أنك تربيت في مدرسة طيبة يا آنسة.

ماجى : (بصوت بالغ الحدة) سيدى، لا أسمح . .

إيفيلــين : ألا تدركين يا ماجى أن هذا كله من قبيل الهزل؟ تعالى معى نتجول في الحديقة ، فهذا أفضل كثيرا

ماجى : إن كان يجلب السرور إلى نفسك ، مثلا !

إيفيــلين : طبعا ، طبعا .

ماجى : كان الأمر يحتاج حقا إلى طيبة أبى التى لا يصدقها العقل ، وتسامحه الذى لا مثيل له. .

(تخرج بصحبة ايفيــلين)

المنظر العاشر

اميديه ــ ستللا ــ آرنو

أميــديه : هذا شيء فريد . . . ألا حظتَم وَصْمات الانحلال التى يعرضها وجهُ هذه المخلوقة ؟ .

آرنــو : (في بساطة) ، لا أدرى ، ولكننى أرى أن ماجى مخلوقة فاتنة .

أميــديه : ماذا ؟

آرنو : أعتقد أنها لم تخترع البارود ، وأن لها شخصية على شيء من الوقاحة ، ولكن . . .

أميديه : فاتنة ؟ إنها فقمية * !

آرنو : هذا ما لا أعرفه .

ستللا : وما معنى « فقمية » ؟

أميديه : يا طفليّ المسكينين ، لست أدرى ، أن أشد ما يحزنني في جهلكما المشين ، هو أنه جهل أمين ، والأدهى من ذلك أنه ضرب من البلادة الصفيقة . . .

آرنو : ليست غلطتي أن وجدت ماجي فاتنة

أميديه : بكل تأكيد . فالمخلوق الشائه ليس مسئولا عما به من تشويه . (ينفجر آرنو ضاحكا) أين وجه الضحك في هذا ؟ وانى لاتساءل مرة أخرى عامدا : أليس الشطر الذى ينتمى إلى الاختيار الحر من طريقتنا في الوجود أكبر كثيرا مما يذهب اليه اعتقاد الناس ؟ (إلى آرنو) وفضلا عن ذلك ،

---

* ترجمة كلمة Prognathe ومعناها الانسان البدائي البارز الفكين .
(المترجم)

يا بنى ، إذا اعتقدنا فيما يقوله ذلك الدكتـور الذى يُجِلُّونـه في الكنيسة ــ التى هى كنيستك ، والذى ابجله إلى غير حد . .

آرنـو : لست لاهوتيا ، يا أبى .

أميـديه : ودون أن تكون لاهوتيا ، كان ينبغى أن تهتم ــ على ما يبدو لى، بالتفكير في إيمانك.ومعتقداتك التى ربما وجدتُ في مشاطرتك إياها شيئا مـن العذوبة ، تبدو لى أنها في جملتها . . . (إلىستللا التى أخذت تتثاءب) ستللا ، ألا يحتاج هضمك : إلى شيء قليل من المراقبة ؟

ستـللا : لماذا يا أبتى ؟

أميـديه : هذه التثاؤبات التى جاءت في غير أوانها . . .

المنظر الحادى عشر

نفس الأشخاص ـ ايڤيلين

إيفيـلين : (عائدة من الحديقة) بدأ المطر .

ستـللا : هل عادت جدتى ؟

أميـديه : ما زالت جدتك في مكتب البريد ، وقد صحبتها

مدام بويجرلان التى التقينا بها عند خروجنا في عربتها ، وسوف تعود بها بعد لحظات .

آرنـو : (إلى إيفيلين) وماجى ؟

إيفيـلين : إنها لم تشأ أن تواجه صواعقك مرة أخرى يا أميديه. فاذا ظننتَ أنك قد أرهبتهما ، كان من واجبى أن أبدد هذا الظن . إنها تعرف نفسها ، هذا كل ما في الأمر ، وهى تعلم أنها تسيطر على نفسها في صعوبة ، ولهذا فقد خشيت . .

أميـديه : لا يهمنى في قليل أو كثير ما تقوله هذه المأفونة أو ما تفكر فيه يا إيفيلين . ولكن هل أفهم من من ذلك أنك انحزت إلى أعدائى ؟ حينذاك ، يكون الأمر خطيرا . (صمت) هذا صمت ملىء بدلالة رهيبة ، يا طفلىّ المسكينين ، أليس كذلك؟

إيفيـلين : اسمع ، ياصديقى ، حين يكون السؤال خاليا من المعنى ، يبدو من باب الاحسان أن أتركه بلا إجابـة .

أميـديه : (بفظاظة) إيفيلين ، هل يخامرك شك في أننى قد شخت عشر سنوات منذ ستة اشهر ؟

إيفيلين : ومن ذا الذى استطاع أن يُدْخِل هذه الفكرة في رأسك ، مثلا ؟

إميديه : إنها ليست فكرة يا إيفيلين ، إنها بينة . فأنا احلق ذقنى كل صباح يا إيفيلين ، وأرى وجهى في مرآتى .

(تضحك إيفيلين ضحكات هستيرية ،وينفجر آرنو بدوره ضاحكا .)

ستللا : أنتم مضحكون .

أميديه : هَوِّنى عليك يا طفلتى . هذا الضحك يروق لى ، انه ينير بصيرتى. انا لا أتحدث عن آرنو ، فانه عرضة لنوع من التهلل الذى نصادفه عند بعض الكائنات البدائية . . إلى حد ما .

آرنو : شكرا .

ميديه : . . . أما ضحكة أمك الثانية فانها تعلمنى أشياء أليمة . . (يشتد ضحك إيفيلين) إن رجلا ينحدر إلى الشيخوخة . . رجلا يتألم ، رجلا يغدر به أصدقاؤه ، بعد أن غدرت به الحياة نفسها . . هذا شيء مضحك بكل تأكيد يا إيفيلين ، مضحك بدرجة لا سبيل إلى مقاومتها .

إيفيلين : (دون أن تكف عن الضحك) أرجو عفوك يا أميديه .. أعترف بأن هذا شيء لا يليق، ولا أستطيع ...

(تخرج مهرولة وهى تضغط بمنديلها على فمها)

(صمت)

المنظر الثاني عشر

اميديه ـ آرنو ـ ستللا

أميديه : (مشيرا باصبعه إلى الباب الذى خرجت منه)، ماهذا ؟

ستلا : أنت تفهم، يا أبى ...

آرنو : هذه تصرفات آلية .. ولا أهمية لها على الاطلاق.

أميديه : ماهذا ؟

ستلا : اننا جميعا عصبيون قليلا هذه الأيام الأخيرة .. فالجو ثقيل جدا، هذا حق.

أميديه : عصبيون .. الجو .. هذه كلها اعذار واهية يا بنى أما أنا، فلا يمكن أن اكون مخدوعا.

آرنو : لقد ساءلت نفسى عما إذا كانت إيفيلين ...

أميــديه : ثم ماذا ؟

آرنــو : من المحرج إلى حد ما أن أحدد ما أريد .

ســتلا : ولكن ، ماذا تريد أن تقول يا آرنو ؟

آرنــو : (مرتبكا) يبدو أن مزاج النساء في مثل هذه الحالات يصبح شاذا نوعا ما ، متقلبا نوعا ما . . .

ســتللا : وكيف ؟

أميــديه : لو أن حادثا من هذا القبيل يُحَد في هذا البيت ، فمن البديهى ألا نمزق الغلاف الرقيق الذى يحيط . . بالصمت والحياء عن طيب خاطر . . ولكن يبدو أن هذه التخمينات المتضارية لاتجيب على شيء .

آرنــو : ليس في امكانك أن تعرف يا أبى ، فلعل إيفيلين لم تكن تريد أن تقول لك شيئا .

أميــديه : (في لهجة قاطعة) لا أريد كلمة واحدة بعد ذلك عن هذا الموضوع ؛ أعتقد بالحرف . . . . . . أحلم (فترة صمت) . لقد لفتت نظرى — هذه الأيام — صديقتى العزيزة جدا مارى — إستيل دى بويجرلان — إلى أن أمكما الثانية تتآلف في صعوبـــة مـــع حياة العزلـــة والتأمل التى تحياها هنا .

ســتللا : أنا لا أحبها كثيرا . . هذه الحياة . . وكنت على وشك أن اسألك عما إذا كانت هناك وسيلة للرحيل إلى إيطاليا بعض الوقت في سبتمبر .

أميــديه : إلى إيطاليا ؟ ولماذا إلى إيطاليا يا ستللا ؟ وما جدوى هذه الرحلة الباهظة التكاليف ؟

ســتللا : الحياة ليست غالية هناك ، والسفر بالتخفيضات...

أميــديه : في هذه اللحظة التى نحرص فيها على أن نفرض عــلى أنفسنا كـــل ضــروب التقشف . لقد أوقفت – لأسباب اقتصادية – اشتراكى في مجلتين للفنون كنت أواظب على قراءتهما طيلة السنوات العشر الماضية .ثم ، ماذا تريدين أن تفعلى في إيطاليا ؟ لقد لاحظت منذ زمن بعيد افتقارك إلى الصمود في المتاجف والمعارض .. وإذا كانت المناظر هى التى تغريك بالسفر إلى هناك ، فصدقينى لن تجدى فيها شيئا أبدع مما تضمه بلدنا فرنسا ، في أقصر نزهة تقومين

ســتللا : ولكننى أعرفها ..

أميــديه : أتعرفين حقا معنى المشاهدة ؟ انى لأسال نفسى : ما معنى النظر إلى الأشياء ؟ عندما جعلتك تأخذين

فيما مضى دروسا في الرسم ، فهل واظبت عليها ·
إنك تفتقرين إلى المثابرة ، ولعل هذا هو أخطر
عيوبك ، وأخشى أن يؤدى بك ذلك إلى ضروب
شتى من خيبة الأمل . وبهذه المناسبة ، آن الاوان
لكى ألفت نظرك بكل مافي وسعى ، وحان
الوقت لتحديد موقفك من الشاب آلان دى
بويجولان .

ستللا : ولكنه يا أبي ، مجرد زميل لطيف، ولا شيء
أكثر من ذلك .

أميديه : (نافد الصبر) ستللا ، أرجوك ، لاداعى لتلك
الكلمات التى لاتعنى شيئا . ولن أزيدك علما
حين أؤكد لك أن هذا الفتى الحاكم يُكِنُّ لك
مشاعر غاية في الرقة . ومسلكه في حضورك
لايترك مجالا لأدنى شك ، وفضلا عن ذلك ،
أكدت لى والدته ما فطنتُ إليه . وقد أجد من
الصعب على — بكل تأكيد — أن أكون حُكْما
على شاب ربما كان التحفظ هو سمته المميزة .
غير أنى ارى فيه بعض الملامح التى اقدرها في
والدته منذ . . عشرات السنين . أجل ! كنا
نلعب سويا أمام تلك الصور في منتزه « مونسو »

الذى لاتحبونه على الاطلاق ، دون أن أدرى لذلك سببا . واحسبنى قد لاحظت أيضا عند آلان دى بويجرلان ذلك التواضع ، ذلك النزوع إلى الاحترام ، الى مراعاة مشاعر الغير ، تلك الصفات الـتى تنقص معظـم معـاصـريك يا صغيرى آرنو ، نقصا يدعو الى الأسى . أنا لا أتحدث عنك في هذه اللحظة ، لأن حالتك خاصة جدا . . وأيا كان الأمر ، لا أغالى ان حذرتك مـن اتجاه معين – أينبغى أن اسميه تسويفا ؟ . . يمكن أن يؤدى أحيانا إلى الخلاعة .

آرنــو : أوه ! أبى ، إن ستللا ليست خليعة ، ولا أرى فيها شيئا من ذلك .

إميــديه : لا ينبغى أن نتلاعب – حتى لو كان ذلك عن غير قصد – بمشاعر – أيـا كان موضوعها فهى تستقر في أسمى مكان من الطبيعة الانسانية .

ســتللا : ولكن ، ليس ذنبى ، إذا كان آلان . . .

أميــديه : سنعاود الحديث في هذا الموضوع على راحتنا . . فها هن السيدات قد ظهرن .

المنظر الثالث عشر

نفس الأشخاص ـ مدام شارتران ـ مدام دي يو يجرلان

مدام شارتران : تا ، تا ، تا ، لعلهم لا يأتون ليرووا لى حكايات . أما أنا ، فقد رأيت هتلر ، رأيته كما اراكم الآن ، في بيرويتْ ، في الصيف الماضى . وإنى لأؤكد لكم أن له لَسَمْتا ، وبساطة !. . وإنه لساحر . وإن المرء ليدرك على الفور أنه إزاء شخصية ، وفضلا عن ذلك ، كدنا أن نتعارف عند الأميرة « ماشان » التى كانت ابنة أخيها تنزل في فندقي . . على أى حال ، لا أهمية لذلك .

مدام دى بويجرلان : (مرتاعة) ألم يلق ذلك بالرعب في نفسك ؟

مدام شارتران : أنا ؟ ولماذا ؟ انني لست خجولا . أتدرين ، ماكان ينبغى عمله ؟ دَعْوَتُه بكل بساطة — إلى باريس لزيارة المعرض . وأقول لك إن الباريسيين كانوا سيفتنون به . لقد جعلوا منه شيئا مخيفا ، وهذا أمر شائن .

مدام دى بويجرلان : ولكن ، أتعتقدين أنه كان سيقبل الدعوة ؟

مدام شارتران : طبعا ، بكل سرور ، إنه رقيق ، ذلك الرجل ، وما عليك إلا رؤيته .

مدام دى بويجرلان : ومع ذلك فانه يوم ٣٠ يونيو . .

مدام شارتران : (في تهكم) أكنت هناك ؟ وهل لديك مصادر خاصة للمعلومات ؟أما أنا ، فلا يعنيني ما يقال .

مدام دى بويجرلان : ولكن الصحف . . . .

مدام شارتران : الصحف أتعرفين كيف تعد الصحيفة ؟ كلا ؟ طيب ، أنا أشك فيها . ولكي نعود إلى صديقنا أدولف ، ينبغي أن يمكث شهرا على الأقل . ثم أن يتناول عشاءه عنـــد هؤلاء ، وأولئك . . وسيرى شيئا من رجالنا البواسل الذين لايعرف عنهم شيئا . أنا مثلا ، كم يضايقنى ذلك ! سأقول له : « مارأيك ، يا مسيو هتلر ، إنك لن تعلن علينا الحرب ! كلا ، طبعا ، فليست هذه أعمالا تليـــق بك . كان ذلك معقولا في الماضى ، أما اليوم ، مع كل تلك المخترعات ، والعلم . . . هيا بنا هيا بنا ! . . . »

مدام دى بويجرلان : إن جدتك رائعة ، يا صغيرتى ستللا .

أميـــديه : إن والدتى تتمتع بحيوية ، بل أضيف ، بتفاؤل يقلقنا ويسعدنا في آن معا . إنها أكثرنا شبابا ، نحن جميعا .

مدام شارتران : طبعا . ليس هذا بجديد .

أميـــديه : ولكن ، انت ، ياماري – إستيل ، أتثير السياسة في نفسك حقا شيئا من الاهتمام ؟

مدام دى بويجرلان : لأنها تمتزج امتزاجا فظيعا بوجودنا ياعزيزى أميديـــه ، وحين يكون للمرء ابن في الثالثـــة والعشرين من عمره . . .

أميـــديه : دون شك ، دون شك .

مدام دى بويجرلان : وحين يفقد المرء زوجه بسبب الحرب . . .

أميـــديه : أجل ، زوجك أليبريك المسكين .

مدام دى بويجرلان : من الصعب ألا يطارد الانسان التفكير فيما يمكن أن يحدث .

مدام شارتران : (في لهجة حاسمة) أرجوك ياصديقتى الصغيرة ، الصغيرة ، أن تَدّعِى الأفكار الثابتة ، وإلا انتهى الأمر بدخول أحد الملاجئ ، وهذه مسألة لاتسر على الاطلاق ، وخاصة بالنسبة للوسط

الذى نعيش فيـــه . وحين فقـــدت إرنست ، اعتقدت بكل بساطة انى صائرة إلى الجنون . . . ولكننى استأنفت الحياة، فليس من حق الانسان أن ينساق وراء أحزانه .

مدام دى بويجرلان : لايملك الناس جميعا مـــا تملكين من مرونـــة ، ياسيدتى العزيزة .

مدام شارتران : هذا معناه أن الناس لم يعودوا يعرفون ما الارادة .. أتسمعيننى : الا — را— دة .

أميـــديه : ومع ذلك ، يبدو لى أن مارى — استيل حين قررت تربية ذلك الصبى الكبير ذى العينين الزرقاوين — هـــل هما زرقاوان حقا ؟ كلا ، بل لونهما أزرق—حاد — حين قررت ذلك . عرفت كيف تُبْدِى علامات على تكُريس ينطوى على إصرار ، ويقترب من البطولة . وانى لاحتفظ بذكرى بعض أمراض الطفولة — كالحصبة أو السعال الديكى — حين كنت طيلة ليال عديدة . . .

مدام شارتران : كان من الأفضل لها أن تتخذ ممرضة . فما جدوى تحطيم صحة المرء بجوار المرضى ؟ فإن عليهم

فيما بعد أن يقوموا برعايتك . هذا شئ لا تقبله أفكارى .

أميـــديه : هناك ضرب من الافراط ـــ سواء أكان معقولا أو لم يكن ـــ يحوز إعجابي دائما

مدام دى بويجرلان : (في شيء من الخبث) الشيء الساحر في أميديه هو أنه يتحدث كما يكتب تماما ، وما أروع خطاباته ...

أميـــديه : لا أحب أن اخالفك الرأى يا مارى ـــ استيل ، ولكننى أعتقد بالأحرى أننى أكتب تماما كما أتحدث . ولا تنسى أننى تلقائى كبير .

(صمـــت)

مدام شارتران : الواقع ، ياستللا ، أن هناك امرأة اشبه بالجنية « كارابوس* » تزعم أنك ضربت لها موعدا .

ســـتلا : آه ! ...

مدام شارتران : قلت لها أن تنتظرى في حجرة المكتب الصغيرة . أظن أنها جاءت لعمل ما ؟

ســـتللا : (بانفعال) لماذا لم تخبرينى بهذا من قبل ، يا جلتى ؟

* Corobosee ، وهي جنية يصفها الفولكلور الفرنسي بانها عجوز حيزبون حدباء لا تصنع سوى الشر .

مدام شارتران : (في ضحكة تقلد بها الغولة) « حُدْب الفالــو الصغار * »، شيء من هذا القبيل . . وان كان أن انصحك ، فلا تتركي نفسك عرضة لاحتيالها .

ستللا : ليس هذا ما تعتقدينه .

(تخرج)

مدام شارتران : على كل حال ، اصحبيها الى هنا ، الساعة الآن الحادية عشرة والنصف ، وسأذهب للجلوس في حجرة الكتب الصغيرة مع كتبي ، فالجو هنا شديد الحرارة .

مدام بويجرلان : أتقرأين بغزارة ؟

مدام شارتران : انني أعيد قراءة الكتاب المجيدين : فولتير ، رينان ، والقلم في يدي . . هذه طريقتي الخاصة في الصلاة . هأ . . هأ . . هأ !

أميديه : وأنت ، ياماري — ستيل ، أرجو ألا تكوني قد أهملت المطالعة . . .

مدام دي بويجرلان : انا لم أعد أقرأ بتاتا ، رأسي قد أصابها الصداع . .

** هذا عنوان اغنية شعبية قديمة و « الفالو » مقاطعة فرنسية قديمة ، يضمها الآن اقليم الوار . (المترجم)

هذه الحوادث كلها .. ان أحدا لم يكن يتنبأ بوقوعها .

أميـــديه : انك تجنحين الى المبالغة ، ياماري – استيل ، فليس الناس جميعا مخطئين . وعندما اقرأ بعض الرسائل التي كتبتها إلى أسرتي عام ١٩١٢ ، وكنت حينذاك في الخامسة والعشرين ، ارتاع من صفاء بصيرتي ؛ ولعلك تسمحين لي أن اقرأ عليك بعض فقراتها يوما مـــا على سبيل حـــب الاستطلاع .

ســـتللا : (مقبلة ، وتوجه الكلام إلى الآنسة فرو التي تتبعها) مـــن هنا يـــا آنسة ، من فضلك ، دعيني أقدمك .

أميـــديه : (عند رؤية الآنسة فرو) آه !

ســـتللا : أقدم اليك أبي ، جدتي ، مدام شارتران ، مدام دى بويجرلان ، الآنسة فرو . ربما كان من المستحسن ان أصحب الآنسة إلى حجرتي .

أميـــديه : كلا .. اطلاقا .. سأعود على الفور .

ســـتللا : ولكن ، يا أبي .

الآنسة فرو : لا أريد ازعاج أحد .

مدام دي بويجرلان : (إلى ستللا) تذكرى اننا نعتمد عليك غدا لتذوقه ؟ وعلى آرنو أيضا ، بالطبع .

ستللا : ولكننى ، لا أدرى ان كنت أستطيع .

مدام دي بويجرلان : لاتخلفى وعدك يا حبيبتى ، فسيحزن آلان أشد الحزن وأنــا لا أراه على ما يرام في هذه الايــام إلى اللقاء .

(مُصَافَحَات بالأيدى)

أميــديه : سأصحبك حتى عربتك ياماري ــ استيل .

مدام شارتران : أما أنا فسأعود إلى شعبى اسرائيل . . إنه عمل مثير . آه ! من هؤلاء اليهود . . . ومع ذلك ، فمسيو هتلر لم يخطئ تماما . . هيابنا ، إلى اللقاء .
(تومئ برأسها ناحية الآنسة، وتخرج من جهة اليمين)

المنظر الرابع عشر

ستللا ــ آرنو ــ الآنسة فرو ــ ثم اميديه

الآنسة فرو : (تنتصب أمام آرنو) إنه شديد الشبه بأمه المسكينة ! .. لدرجة أنني لو صادفته في الطريق لتعرفت عليـــه .

آرنـــو : لقد التقينا من قبل يا آنسة ، على ما يبدو لى .

الآنسة فرو : منذ زمن بعيد جدا .

ســـتللا : (بصوت مرتجف) كنت اعتقد بالأحرى أننى أنا التى اشبه أمى .

الآنسة فرو : شيء في نظرة العين ، وفي رنة الصوت أيضا . أما هو ، فيأخذ منها الوجه البيضاوى ، والثغر ، والذقن . . .

ســـتللا : هذا حق .

آرنـــو : إن أوجه التشابه ، تبدو لى دائما غير واضحة . . .

الآنسة فرو : انني أردد ماتقول ، بأعلى صوتي.

ســـتللا : اجلس يا آنسة . إنني في غاية من السرور لأنك

تمكنت من الحضور . . . فقد كنت أخشى . . منذ ذلك اللقاء عند آل موريس . . كم كان أمرا غريبا . . غير متوقع .

الآنسة فرو : ليس بالنسبة لى ، فقد كنت أعرف .

ستللا : كيف ؟

الآنسة فرو : إننى نفسانية كبيرة . . وأملك ضروبا من الحدس لاتخدعنى أبدا ، أتفهمين .

آرنو : إننى أشفق عليك يا آنسة . . .

الآنسة فرو : وهذا في حد ذاته ميزة عظيمة ، ولكن ينبغى أن أن يكون المرء جديرا بها . . ثمة رياضة كاملة للروح . .

ستللا : هذا شيء خارق للمألوف.

الآنسة فرو : إطلاقا . . فليس هناك ماهو أبسط من ذلك ، على شرط أن يكون المرء خاضعا للتوجيه . .

ستللا : لتوجيه مَنْ بالضبط ؟

الآنسة فرو : ينبغى أن يكون المرء سالكا ، هذا كل مافي الأمر.

ستللا : سالكا في أى شيء ؟

الآنسة فرو : اذا انعقدت فيما بيننا — على ما اتعشم — أواصر

علاقات وطيدة في المستقبل ، فسوف أعيرك كتبا . . هندوكية ، بوجه خاص ، وأمريكية . . وسأجعلك تقابلين أشخاصا مُعْجِزين . إنه عالم بأكمله ليس لديك عنه أدنى فكرة .

ستللا : ولكن حتى يحين ذلك الوقت يا آنسة ، نحب أشد الحب أن . . أليس كذلك يا آرنو ؟ انى اعتمد عليك يا آنسة . . اعتمادا لاتدركين مداه . فما من أحد يحدثنا إطلاقا عن أمنا . . وانت – كما قلت لى – عرفتها جيدا ، و . . .

أميديه : (عائدا من الحديقة) أرجو معذرتك يا آنسة ، كدت أبدو لك جِلْفا لايعرف المجاملة .

ستللا : إذا كنت في حاجة إلى هذه الحجرة ، فمن الممكن أن نصحب الآنسة إلى غرفتى .

أميديه : أبدا . أتسمحين لى يانسة أن اسألك عن سبب تشريفنا بهذه الزيارة المفاجئة ؟

الآنسة فرو : إذن ، فأنتِ لم تخبرى والدك بشيء من لقائنا في بيت آل موريس ؟

ستللا : كلا . . على ما أعتقد .

الآنسة فرو : شيء غريب .

آرنو : لكل منا يا آنسة وجوده ، وعلاقاته . .

الآنسة فرو : جميل : ولكن مادخل الأسرة في كل هذا ؟

أميـــديه : أفهم من هذا انك التقيت بابنى عند . . . شخص ثالث .

ســـتللا : عند جان موريس ، يا والدى .

أميـــديه : هذا الاسم لايعنى بالنسبة لى شيئا على الاطلاق . وعلى كل حال ، لا أهمية لذلك ، في هذه اللحظة على الأقل . هل تجاذبتما أطراف الحديث؟

الآنسه فرو : هذه الطفلة لم تكن مجهولة عندى ، فقد كنت مدرسة أمها العزيزة ، وموضـــع سرهـــا . . . (تلوح علامات التساؤل على وجه أميديه) كلا ، ياسيدى ، انا لا أضيف إلى ماتعلمه شيئا . . فلقد التقينا مرارا ، في ظروف لم تنسها . وفضلا عن ذلك ، لست ممن يمكن نسيانهم ابدا ، ياسيدى ، فثمة علامة تميزنى ، وأنا أعرفها .

ســـتللا : لقد كنت أنـــا التى توسلت إلى الآنسة فرو أن تحضر لرؤيتى ، عندما علمت أنها تقطن في الضواحى عند بعض الاصدقاء ، فلدينا ــ أنا

وآرنو — عدد من الأسئلة التي نريد أن نوجهها إليها .

أميـــديه : آرنو ؟ . . . أسئلـــة ؟ . .

آرنـــو : لقد تعذبت ستللا عذابا شديدا في هذه الأيام الأخيرة .

ســـتللا : أرجوك ، يا آرنو ، ليس الآن . . إذا سمحت — يا آنسة — يمكن أن نصعد إلى غرفتى ، وهناك ننعم بالهدوء التام .

أميـــديه : لن أسمح بذلك . هل لى أن اسألك يا آنسة ، إن كنت قد حاولت مراسلة طفلىّ ؟

الآنسة فرو : (في ازدراء) رسائـــل ! . . . أنـــا لا أومن إلا بالحضور وجها لوجه . . وفضلا عن ذلك ينبغى أن ينضج الحدث ، أو اللقاء ، كما تنضج الثمرة . هذا ماعلمتنا إياه — ضمن اشياء كثيرة — مدام هيلين سيدنى .

أميـــديه : ومن تكون مدام هيلين سيدنى هذه ؟

الآنسة فرو : ألا تعرف من تكون مدام هيلين سيدنى ؟

أميـــديه : كلا يا آنسة ، وليس لدى عنها أدنى فكرة .

آرنــو : ولا أنا أيضا ، وإنى اف ث .

الآنسة فرو : رجل يقول عن نفسه إنه مثقف ، ويجهل وجود شخصية هى أعظم الكائناتالتى ظهرت على الأرضفي قوة الاشعاع ــ فلا عجب أن تعيش أوروبا التعسة ــ بعد ذلك ــ في حالك الظلمات ! انظروا .

(تخــرج صورة فوتوغرافيــة من حقيبتها ، يشرئب آرنو وستللا للنظر فوق كتف أبيهما.)

أميــديه : أواثقة أنت من أن هذه امرأة ، يا آنسة ، انها أشبه بالبولدوج ، أو بأحد رجال الكهنوت .

الآنسة فرو : عفوا ياسيدى . ، ان مدام هيلين سيدنى هى المُوَلّدة وفقا لروح رادا مورتى . .

أميــديه : كريشنا مورتى .

الآنسة فرو : لاتحدثنى عن هذا الدجال . . . إنها وفقا لروح رادا مورتى ، الملاك الفادى الذى سوف ينتزع العالم من براثن المادية .

أميــديه : وهل تحتفظين أيضا بصورته ؟

الآنسة فرو : في بيتى . . وهو يهم بلعب الجولف .(ينفجر

آرنو ضاحكا) بحق السماء ، لاتضحك ، يابنى . فهذه الضحكة التى اطلقتها تخترق قلب أمك المسكينة التى تراك وتسمعك من أعماق العالم الآخر . . .

ستللا : أبى ، أتوسل إليك ، هذا محال ، لايمكن أن يستمر الحال على هذا المنوال ، أشعر بأن رأسى تنفجر ، ماذا يضيرك لو تركتنى بضع لحظات مع الآنسة فرو ؟

أميديه : بل على العكس ، عندى من الأسباب التى تجعلنى لا أسمح بهذه المحادثة الخاصة — أقواها وأشدها حسما .

ستللا : ولكن ، هذا هو الجحيم بعينه ، فليس من حقك . . .

أميديه : ليست المسألة مسألة حق ، بل مسألة واجب مقدس .

ستللا : أنت لاتعرف ما أريد أن أسأل الآنسة عنه .

أميديه : إن ما أجهله بوجه خاص ، هو أنها ستكون قادرة على الاجابة على اسئلتك .

ستللا : أهناك اذن ماتخشاه ؟

آرنو : أرجوك يا آنسة ، ألا ترين أن شقيقتى على شفا انهيار عصبى ؟

الآنسة فرو : كثيرا ما اوضحت مدام هيلين سيدنى الدور الصحى الذى تقوم به الصدمات في الانطلاقة الروحية .

أميديه : حسبك يا آنسة ، لقد سمعنا ما فيه الكفاية . تسدين إلى معروفا بمغادرة هذا المنزل .

الآنسة فرو : (في صوت بالغ الحدة) لن أفعل شيئا من ذلك ياسيدى ، وما عليك إلا أن تدق الجرس لخادمك لنرى إن كان سيجرؤ على وضع يده على امرأة لاحول لها ولاقوة .

المنظر الخامس عشر

نفس الأشخاص ــ ايفيلين

إيفيلين : ماذا حدث ؟

ستللا : إيفيلين ، تعالى لنجدتى ، يا إيفيلين . . .

أميديه : أى عزيزتى إيفيلين ، ليتك ظهرت قبل ذلك

بيضع دقائق ! إذن ، لكنت تلقيت من فم الآنسة توكيدات مطمئنة إلى أبعد حد ، يبدو أن العالم على وشك الخلاص . . .

إيفيــلين : ماذا ؟ ماذا ؟

أميــديه : على يد سيدة لها سحنة البولدوج ، وملاك يلعب الجولف .

آرنــو : إيفيلين ، أرجو أن تصحبي ستللا ، فهي لم تعد تقوى على الوقوف .

الآنسة فرو : إني راحلة ، إني راحلة . . لقد فكرت مليا أى جديد استطيع ان اخبركم به ؟ (إلى آرنو) يخيل إلى أنك قد بلغت سن الرشد ؟ . . .

آرنــو : (مذهولا) وما العلاقــة ؟

الآنسة فرو : هل بلغت سن الرشد ؟

آرنــو : إنني في الرابعة والعشرين .

الآنسة : إذن ، فقد تسلمت الخطاب . . .

ســتللا : أى خطاب ؟

آرنــو : أى خطــاب ؟

الآنسة فرو : الخطاب الذى تركته أمك قبل وفاتها ، واوصت

موثق عقودها أن يسلمه إليك بمجرد بلوغك سن الرشد .

آرنـــو : ماهذا الاختلاق ؟

الآنسة فرو : اسأل والدك ، إن كان ذلك اختلاقا .

أميـــديه : لن أقدم حسابا لمعتوهـــة .

الآنسة فرو : ليس أيسر عليك ياصغيرتي ستللا من أن تكتبي إلى مسيو جاردفو ، موثق عقود أمك ، ومن السهل عليك العثور على عنوانه ، ورقم تليفونه. . هيا، هيا.. سأترككم، وأنا مطمئنة ، إنكم الآن في رعاية طيبة . . واذا اقتضى الأمر ، ابعثوا إلى بطالعكم في الوقت المناسب ، إلى اللقاء جميعا.

(تخـــرج)

المنظر السادس عشر

اميديه ـ ايفيلين ـ آرنو ـ ستللا

ســـتللا : ماهذا الخطاب ؟ آرنو ، تقسم لى . .

آرنـــو : ستللا !

ســـتللا : إذن ، فقد أخفـــوه . أبى !

أميـــديه : أنا لا أقيم وزنا لانهام مأفون . . .

ســتللا : (تتحسس جبينها براحتها) هذا صحيح ، إننى مجنونة ، إيفيلين ، لقد أصبحت مجنونة . . أنا أيضا . . (إلى أميديه) هذه غلطتك . لماذا لم تشأ أن تقول لنا شيئا على الاطلاق ؟

أيفيـــلين : هدئى من روعك ، ياصغيرتى ، أتوسل إليك. ...

ســتللا : ذلك المرض الذى لانهاية له ، غير المفهوم . . أكان مرضا عقليا ، عقليا ، كما يقولون ؟ولكن، ماذا يحملنى على الاعتقاد في ذلك ؟ ثمة اناس يُسْجنون دون سبب ، لأنهم يعوقون غيرهم . . . لاتنكر ذلك . انا اعلم ان هذه أمور تقع ، وقد قرأت عنها . ومنذ تلك اللحظة ، لم أعد أحيا . .

آرنـــو : إنك تهذين ، يا صغيرتى ســتللا ، أقسم على ذلك.

ســتللا : وما الذى يسمح لك بأن تؤكد ذلك ؟ من أدراك؟

آرنـــو : هذا مشهد روائى .

ســتللا : أنت جبان ، وربما كنت متواطئا معهم ، إننى احتقرك ، أنت ، ودينك الذى يتقبل كل شىء، ويحتمل كل شىء ، ولا يسعف أحدا ، ولا يناضل في سبيل أحد .

إيفيـــلين : ولكنك جائرة ، شنيعة ، وستندمين على ذلك يا صغيرتى . .

ســـتللا : (إلى أميديه) انى مصرة على أن تخبرنى بالحقيقة : ماذا حدث ؟ لماذا لم نرها ثانية على الاطلاق ؟

إيفيـــلين : (إلى أميديه) أميديه . . . ليس من حقك . . .

أميـــديه : لاتخافي ، يا إيفيلين .

ســـتللا : (إلى إيفيلين) وأنتِ أيضا ، تتخلين عنى . . آه ! هذا فظيع . . أمى ! أمى ! (إلى أميديه) إذا رفضت الكلام ، فسأرحل . . سأختفى . . . ولن يمنعنى من ذلك انسان . . .

أميـــديه : أصغى الىّ ياستللا ، للمرة الاخيرة . إنك بهذا المطلب الشاذ . . .

ســـتللا : لا أريد عبارات منمقـــة !

أميـــديه : تزعمين ــ دون أن يخامرك الشك ، وهذا ماأسلم به . . . اتهام ضميرى بارتكاب عمل شائن .

ســـتللا : ضميرك ! ليتك تعلم أن الأمر يستوى لدى !

أميـــديه : إنك تتحملين بهذا العمل مسئولية شديدة الخطورة.

ستللا : وداعا .

(تعدو صوب الباب)

إيفيلين : ستللا !

(تجاهد للامساك بها ، غير أن ستللا تتملص منها .)

أميديه : كانت تريد ذلك منذ أمد بعيد .

إيفيلين : آرنو ! بحق السماء !

آرنو : لم يعد في استطاعتنا أن نحول بينها وبين الكلام .

أميديه : ستللا ، هناك رواية قرأتِها — دون موافقتى — منذ بضعة شهور .

ستللا : لست أدرى عمّ تتحدث ، لامجال للفوازير . . .

أميديه : اذن ، فسأكون صريحا بقدر ما تطلبين منى . . . كان ذلك على أثر محاولة لدس السم . . .

ستللا : ماذا ؟

أميديه : كدت أروح ضحيتها — وبعدها كنت مرغما على طلب احتجاز امك التعسة .

ستللا : محاولة لدس السـ . . . هل أرادت أن تدس لك السم ، لك أنت ؟

أميديه : وكان لدى الدليل القاطع — وهى نفسها سلمت به . . . وهكذا لم تكن عندى وسيلة أخرى لحمايتنا نحن الثلاثة .

(صمت . ستللا تتهاوى — محطمة — فوق مقعد ، آرنو يركع على ركبتيه ، وقد أخفى رأسه بين يديه)

إيفيلين : (تتجه نحوهما ، وتضمهما الى صدرها) أيا طِفْلَىَّ الحبيبين . . أيا طِفْلَىَّ ! . . .



الفصل الثانى

نفس ديكور الفصل الاول

المنظر الاول

اميديه ــ يتحدث في التليفون ــ ثم ايفيلين وآلان

(ما أن يدخل آلان الحجرة ، حتى تستلفته النظرات التى يصوبها أميديه ، وهو يبدو كأنه يوجه الكلام إلى آلان بقدر ما يوجهه إلى محدثه)

ميـــديه : ماذا تقول ياجارجييه ؟ إننى لا أسمعك جيدا . احتقار ؟ أوه ! حتى ولا هذا .

لان : (في صوت خافت إلى إيفيلين) ، ولكن ، أخشى ياسيدتى أن أكون قد أزعجتكم .

إيفيلين : أبدا ، أبدا ، فعندما يبدأ زوجى في اسطوانة من اسطواناته . . .

آلان : أيطيب له ذلك ؟

إيفيـــلين : إنه يشعر دائما بالسعادة ، إذا وجد له مستمعا .

أميـــديه : (في التلفون) معذرة ياجارجييه ، فانهم يحدثون ضوضاء إلى جانبي . كلا . . . أؤكد لك أن هؤلاء الناس لايثيرون فيّ حتى الاحتقار . وإنما هو نوع من اللامبالاة الخالصة التي لايشوبها شيء . . وربما كان ذلك ضربا من المغالاة . . ولكن ، لا وجود لهم — في بساطة . . كيف ؟ ينبغي عليك أن تطلب فحص جهازك . جارجييه . . . لا وجود لهم من حيث المبادئ التي تتحكم في عالمي .

آلان : (في صوت هامس) من يكون جارجييه هذا ، ياسيدتي ؟

إيفيـــلين : إنه شخص مشلول ، ثقيل السمع ، مجموعة من المنوعات الانسانية ، المثيرة نوعا ما ، ولكنه لين العريكة إلى أبعد حد . وهو يوحي بالبلاغة ، ويطلبنا دائما بالتلفون . .

أميـــديه : لقد بعث إلى أحدهم يابنته منذ وقت قريب . .

إيفيـــلين : أوه ! . . ربما لتقوم معي ببعض التمهيدات . . لا أدري ، فلم أفسح لها مجالا للكلام . . الواقع ، إنه لا وجود إلا لشيء واحد على أكبر جانب من

الاهمية ، يقول لك ابني إنه الخلاص ، وأعتقد أنا أنه توافق الانسان مع نفسه . . نوع من الحالة الموسيقية تكون فيها الروح .

آلان : إن ما يقوله مسيو شارتران يبدو لى غاية في الابداع.

(ترمقه إيفيلين في دهشة)

إيفيـــلين : (في صوى خافت) إلى اللقاء .

(تخـــرج)

أميـــديه : لن يمر ذلك دون شيء من الكآبة . . ولكن ، صفاء النفس ياجارجييه ، صفاء النفس . لم اسألك عـــن اخبارك بعـــد . (دون أن ينتظر الاجابة) إنها هى نفسها ، مفهوم ، ولكن دون تفاقم . . إنه هذا ، دون تفاقم . إنك رواقي ، يا جارجييه ، إننا من معدن واحد ، ومع ذلك ، ينبغي الاعتراف بأن القدر قد أحسن الحكم باخضاعى . . كيف ؟ التليفون يرهقك ؟. . . ولكن ، لماذا لم تخبرنى بذلك من قبل ياصديقى الطيب . . فلعلّ كنت أحاذر من تعذيبك . . حسبت أنى أرفه عنك ياجارجييه ، كنت تستطيع أن تبـــين لى خطئى منذ مدة . ألف

معذرة . استرح ، ياصديقى الطيب ، استرح .
(يضع السماعة) هذا شيء لامثيل له (إلى آلان،
وفي دهشة مفتعلة) أنت هنا ، ياصغيرى آلان ؟

آلان : أرجو معذرتك ، إنها مدام شارتران التى أذنت لى بالحضور . جئت لأسأل عن أخبار . .ستللا. . .

أميـــديه : ستللا ، ليست مريضة ، على ما أعلم . . .

آلان : كان ينبغى عليها أن تحضر امس لتتناول معنا الشاى ولكنها بعثت بمن يُبْلِغنا أنها متوعكة . . . فانتابنى القلق . .

أميـــدية : أجل، أجل،تذكرت الآن ، إنه شيءمن التعب مرجعه إلى بدايات الحر ، فلا شيء يمكن أن يؤخذ مأخذ المأساة . (فيابتسامة بشوش) ، هدئ من روعك . . . هل أخطروها بمقدمك ؟ لاشك أنها تحرص على أن تطمئنك بنفسها .

آلان : (في حماس) كلا ، كلا ، لاداعى لذلك الآن . فأنا لااريد اغضابها .

أميـــديه : إن افراطك في رعايتها لايمكن إلا أن يؤثر عليها أشد التأثير .

آلان : أوه ! لست أدرى . (يتفحصه أميديه في عطف ظاهر ، فيخفض آلان عينه) انها أحيانا. محيرة قليلا ، ألا ترى ذلك ؟

أميـــديه : كلا ، فأنا لااستطيع القول بأن أولادى يحيرونني.

آلان : آرنو ، شيء مختلف ، فهو دائما على وتيرة واحدة ، وإن المرء يعود ليجده كما تركه . على حين أن ستللا . . لايستطيع المرء أن يتنبأ أبدا . . لقد بدت في أول الأمر واثقة ، بل أستطيع أن أقول ودودا ، أثناء نزهة بأكملها ، وفي اليوم التالى أراها باردة ، بل تكاد أن تكون غريبــة عني . وأحيانا أخرى ، تتغير فجأة أثناء الحديث ففي لحظة تكون معى ، وبعد لحظة واحدة ، تشرد بعيدا لا أدرى أين .

ميـــديه : صدقني ، إنه لاينبغى أن تعير هذه النزوات . . هذه التقلبات في مزاج فتاة صغيرة — اهتماما مبالغاً فيه .

آلان : إنني أتوه في الافتراضات . . إنني أتعذب . .

أميـــديه : (في لهجة حاسمة) أنت مخطئ . وأعتقد ان الجسد هو سبب الكثير من هذه الاختلالات .

آلان : (مضطربا) ـ الجسد ؟

أميـــديه : لقد أثبتت لى التجربة أن النساء يعتمدن عـــلى تكوينهن العضوى إلى درجة لاتستطيع نحن — الرجال أن نتخيلها ايه ! أجل ، وهذه هى الفدية التى نقدمها مقابل كل مايمكن أن نحبـــه في تلك المخلوقات الرقيقة الساحرة .

وإياك أن تظهر لهن أنك لاحظت شيئا : فهذا شيء لايغتفرنه لك .

إنهن لايرضخن أبدا لحالة من العبودية — يحكمن عليها خطأ — بأنها مهينة لكرامتهن . ولما كنّ قادرات على الاختلاق بفطرتهن ، فانهن يلتمسن دون عناء مبررات لتقلبات المزاج التى لامبرر لها في حقيقة الأمر .

فتظاهر بأنك مصدق لها ، وحينئذ ستجد نفسك في خير حال .

آلان : أنت تعرف النساء معرفة تدعو إلى الاعجاب .

أميـــديه : الاحرى أن تقول « المرأة » ياصديقى الشاب ، المرأة هى المرأة ، على الرغم من اختلاف —

المظاهر . هناك استثناءات بالطبع ، وأملك الرائعة ، واحدة منها .

ألان : ولكن ، ستللا . . .

أميـــديه : ستللا ، كغيرها من الفتيات ، تكاد تكون امرأة بالامكان . وعليك أنت أن تكملها ، أو أن تجعلها بالفعل .

آلان : عليّ أنا ، ياسيدى ؟ أقلت : عليّ أنا ؟

أميـــديه : بلا شك : وهل جَعَلتُ من العاطفة التي أكنها نحوك سرا قط ، أو من الرضا الذى أشعر بـــه حين أراك تصاهر أسرتنا ؟

آلان : لم تكن قد عبرّت من قبل عن مشاعرك — ياسيدى — بمثل هذا الوضوح . . ولكن ستللا ستللا نفسها . . ألديك أسباب للتفكير في . . ؟ لأنها لم تصارحني بشيء إطلاقا . . .

أميـــديه : أنا لم أصرح بذلك ، بل اعترفت به . في مثل سنها ، يحاول المرء أن يحيط نفسه بشيء مـــن الغموض . غير أن لدى أسبابا تحدونى إلى التفكير في أنها تنتظر منك شيئا آخر غير التنهدات ، والتحفظات ، والتلميحات الرقيقة .

(تدخل إيفيلين دون ضوضاء ، أثناء الشطر — الأخير من الاجابة)

آلان : ينبغى ألا يساورها أدنى شك . . .

أميـــديه : هذا لايكفى ، صدقنى ، ياصغيرى آلان . ستللا لاتختلف عن غيرها في شيء ، فهى في حاجة إلى أن تشعر بمن يمسكها ، ويقودها ، بيد حازمة ، مسئولة . .

آلان : اذن ، فلو كنت في مكانى ياسيدى . . .

أميـــديه : أجل ياصديقى ، كنت « أحرق سفائنى » .

إيفيلين : أما أنا ، فأعتقد على العكس من ذلك ، انك ترتكب خطأ لو اتبعت هذه النصيحة .

أميـــديه : ولكننى ، لاأعلم ياإيفيلين — أن آلان قد طلب مشورتك .

آلان : وماوجه الخطأ في ذلك ، ياسيدتى ؟

إيفيلين : ستللا ليست على مايرام في الوقت الحاضر ، وهى في حاجة إلى رعاية كبيرة ، وطلب — الزواج . . .

أميـــديه : إيفيلين !

إيفيلين : أهناك موضع آخر ؟ . . هذا الطلب قد يسبب لها انهيارا قاتلا .

أميـــديه : يالها من مبالغة ! أتعتقدين ! حقا أن ستللا — تجهل المشاعر التي يكنها آلان لها ؟

إيفيلين : ليست هذه هي المسألة .

أميـــديه : أما أنا فأرى أن التعبير بصراحة في نهاية الأمر ، سيدفع صديقنا الشاب إلى اصلاح موقف لايبدو لى خاليا من الوبال . (إيفيلين تهز كتفيها .) إن هزة الكتفين ليست ردا ياايفيلين .

آلان : ألديك من الأسباب ياسيدتى مايدفعك إلى التفكير في أن ستللا سترفض ؟

إيفيلين : لاأعتقد انها في حالة تسمح لها في هذه اللحظـــة باتخاذ قرار يلتزم به وجودها بأسره . وأعتقد أنها ستقول لا ، خوفا من الارتباط .

أميـــديه : لاينبغى أن تصدرى حكما مسبقا على ردها ، فأنت تفسدين —بخفة — أخلاق طفلة تحتاج إلى كل شجاعتها لمواجهة مثل هذا الموقف .

إيفيلين : أرى انني لاأراعى الوفاء إن أنا أخفيت عنه —

هواجسى .

آلان : ولكن ، ربما كان مالاترينه ياسيدتى . . . اننى لا أستطيع احتمال هذا الشك ، فهو يحطمنى . ويخيل إلىّ في بعض الأحيان أن الرفض أفضل بالنسبة إلى من هذا التأرجح بين الأمل والقنوط..

ايفيلين : انها ستللا التى أطلب منك أن تفكر فيها الآن . فلا تضعها في موقف يدفعها إلى أن تطلب من نفسها مالا يمكنها أن تعطيه .

أميديه : كلما أمعنت التفكير في هذه المسألة يا إيفيلين ، بدا لى موقفك في هذه اللحظة فريدا من نوعه .

إيفيلين : إن أماً ، أو اختا كبرى . . لن يكون لها موقف آخر غير موقفى .

أميديه : أتوسل اليك ياإيفيلين ، لا داعى لهذا الكلام الماسخ .

آلان : سيدتى ، لماذا لا تكونين مخلصة حتّى النهاية ؟

إيفيلين : وكيف ؟

آلان : أشعر أنك تقفين ضدى . ولكن ، أعلنى ذلك بصراحة . . .

إيفيلين : لاتتعلق المسألة بما استطيع أن أتمناه أو أن أخشاه .

آلان : بلى ، ياسيدتى ، بالضبط ، فان ستللا لن تقرر شيئا دون استشارتك ، وانت تعرفين ذلك.

إيفيلين : في الظروف الحالية . . . لن أستطيع إلا اقناعها بالعدول عن رأيها .

آلان : (في مرارة) كنت اعرف ذلك . . كنت أعرف ذلك .

أميـــديه : وماذا بعد ، ياإيفيلين . . .

إيفيلين : أعتقد أننى أحلم ، أجل ، أعرف ذلك .

آلان : (في صوت متهدج) أمن الممكن أن أعرف علة هذا العداء ؟

إيفيلين : أى آلان المسكين ، إنك لاتفكر فيما تقول . لاأعتقد أنك تستطيع أن تمنح ستللا السعادة . .

أميـــديه : (رافعا ذراعيه إلى السماء) السعادة ! كلمة من تلك الكلمات الكبيرة التى لاتعنى شيئا .

إيفيـــلين : لست من رأيك ، يا أميديه .

آلان : على كل حال ، ما الذى يسمح لك ياسيدتى بتأكيد انى غير قادر على اسعادها ؟

إيفيــلين : انا لا أؤكد شيئا ، ولكنى أعتقد ان ستللا كائن هش في حاجة إلى المساندة والمعونة والحماية . .

آلان : اتفقنا . ومسيو شارتان قال بنفسه الآن . . .

إيفيــلين : وأظن أنك أنت نفسك يا آلان ، من مصلحتك أن تتزوج فتــاة أقوى ، أو على الأقــل اكثر استقرارا ، أكثر . . اتزانا ، إن أردت الدقة .

آلان : إنك تحملين لنــا — نحــن الاثنين — كثيرا من الازدراء .

إيفيــلين : أقسم لك ، بأنني لا أحمل لكما أدنى ازدراء .

آلان : ربما ، من الشفقة ؟ وهى ليست افضل على الاطلاق كلا ، كلا ، ياسيدتى ، لاتحتجى ، أؤكد لك أنى أفهم جيدا . ولكن ، ثمة شيء لاتدركينه . . فاعلمى ، أنى مثل الكثيرين من رفاقي ، أعرف أى مصير ينتظرنى ، اعرف انى سأقتل في زمن قصير جدا . وفضلا عن ذلك ، فقد تنبؤوا لى بهذا المصير . . أوه ! لاتبتسمى . فانا لا أهرج. واعترف بأن هذه الفكرة صعبة الاحتمال حين نفتقر إلى الايمان . . صعبة.. جدا . . جدا . وهكذا تدركين ، انى إذا لم أتمكن من الحصول على

الشيء الوحيد الذى يهمنى . .فلامبرر للاستمرار في الحياة . . وفي هذه الحالة أوثر أن انتهى منها على الفور ــ ــويكون ذلك بمثابة خلاص ، على كل حال .

إيفيـــلين : ياصغيرى آلان ، هذا ضرب من الابتزاز .

آلان : فليكن ذلك ، إذا شئت ، فأنا لا أخشى الألفاظ . . إطلاقا . فلو أنك صدقت أن أمى قد جعلتنى ألجأ إلى الابتزاز ــ هى أيضا ــ منذ نعومة أظفارى . . . إذن ، لبدالى هذا الأمر طبيعيا جـــدا . . . . هـــذا كل ما أردت أن أقوله لك.

إيفيـــلين : أرجو على الأقل ، ألا يكون لديك هذا الضعف.. الذى لايغتفر ، فتستخدم هذا السلاح مع ستللا .

آلان : ولم لا ؟ . . ان لم يكن لدىّ خير منه . .

إيفيـــلين : طيب ! ها أنت بسبيلك إلى اثبات كم كنت على صواب حين اعتقدت أن هذا الزواج سيكون نكبة كبرى .

آلان : إنها الحياة ــ ياسيدتى ــ التى تعدّ نكبة . .إلى اللقاء ، ياسيدى .

أميـــديه : لاعليك ، يا صديقى ، لاعليك . . .

آلان : (على شفا الانخراط في البكاء) ـ كلا، كلا، لا تستبقنى .

(يخرج)

المنظر الثاني

ايفيلين ـ اميديه

أميـــديه : ياله من مشهد موثر !

إيفيـــلين : (في هدوء) أما أنا ، فأراه حقيرا .

(فترة صمت)

أميـــديه : مازلت أبحث عن تفسير لجمود في الحساسية لايمت إلى الانسانية بصلة .

أيفيـــلين : افعل ما يحلو لك .

إميـــديه : أخشى أن اكون قد اكتشفته ، حقيقة .

أيفيـــلين : آه ، نعم ؟

إميـــديه : إن ذلك الحقد الذى تضمرينه لصديقى العزيزة جدا مارى ـ إستيل ، قد أسقطته الآن على

ابنها . وهذا منطقى جدا . (صمت) بل انك لاتكلفين نفسك عناء انكاره . .

إيفيلين : وما جدوى ذلك ؟ مادام يسعدك كل هذه السعادة. تلذذ يا أميديه الطيب ، تلذذ .

أميديه : ماذا تعنين ؟

إيفيلين : لذة الاعتقاد في أنني غيور ، تافهة ، وضيعة . لكل منا ملذاته . فلماذا أتجشم عناء تبديد وهمك ؟ سيكون ذلك متعبا جدا ، وصعبا جدا — ولن يكون في جملته عملا خيرا . لقد اكتشفت هناك اعتقادا صغيرا مريحا يبعث الدفء في أوصالك . .

أميديه : ولكن ، هل ترين من الطبيعى أن ابصر ستللا بنوع تلك الرعاية . . .

إيفيلين : وهنا ، أنصحك بالاحتراس .

أميديه : إن الكشف الرهيب الذى كنت مرغما على الافضاء به إليها . . .

إيفيلين : ها أنت ذا تعود إليه من جديد .

أميديه : . . . أن اقتل في مهده أى شك محال ومبهم قد يساورها ضدى ، وأعتقد — فضلا عن ذلك —

أنك خليقة بالسعي إلى اثارته في نفسها .

إيفيـــلين : كـــــلا .

أميـــديه : من المؤكد أنها مستعدة اليوم لأن تحسب حسابا للتحذيرات التي قد أكون مسوقا إلى توجيهها إليهـــا .

إيفيـــلين : ضدى أنا ؟

أميـــديه : هذا يتوقف تماما على موقفك . فلو انك لم تحاولى التأثير عليها . . .

إيفيـــلين : هذا واجبي ، ولن اقصر في ادائه . أتستطيع أن تخبرنى — يا أميديه — إلى أى غاية يرمى هذا التحيز العجيب لشاب معتل الاعصاب ؟ . . أنا اعرف ، أنه ابن سيدة ممتازة ، أبدت نحوك دائما مشاعر غاية في الرقة ، ولكنك اعلنت أخيرا منذ لحظة أن ستللا في حاجة إلى يد حازمة ، مسئولة ، فهل تستطيع — بعد كل ماسمعناه لتونا — أن تعتقد لحظة واحدة في أن لهذا الفتى إرادة ، أو سيطرة على نفسه ؟ . .

أميـــديه : إنها عملية استمالة ، ولن اتبعك في هذا الطريق .

إيفيـــلين : لأنك توثر الراحة .

أميــديه : إنك غريبة كل الغربة عن حياة العواطف ، ياعزيزتى إيفيلين ، إلى درجة لاتستطيعين أن تتخيلى معها القلق الذى يمكن أن تلقى فيه تلك العواطف نفسها تميل إلى الرومانتيكية نوعا ما .

إيفيســلين : أنا لا أعرف غير شيء واحد : ان وراثة ستللا من ناحية امها . . .

أميــديه : لاداعى لهذه الرطانة العلمية ، أتوسل إليك .

إيفيســلين : وسواء جلبت وراءها أو لم تجلب ، خطرا حقيقيا على عقلها ، فانه من المستحيل ألا يسيطر عليها خوف السقوط يوما من الايام في ذلك المقدور ، الذى قد يكون وهميا . وفي هذه الظروف ، من واجبنا المطلق أن نحميها من كل ما يمكن أن يوهن . . لا أدرى . . من مقاومتها الباطنة .

أميــديه : إنك تتحدثين كواحد من اولئك المهرجين الذين يسمونهم محللين نفسانيين

إيفيســلين : أنت تراوغ ، وأنا أدرك ذلك . إنى اتحداك أن تعارضنى بحجة واحدة صحيحة .

أميــديه : ما أبعدك عن معرفتى لو أنك لم تلاحظى بعد مقتى الشديد للجدل . إذ أفضل الاستناد على

نور داخلى معين . ولست بنادم — على الأقل حتى الآن على ما يبدو لى — لأننى استمعت إلى نصائح شيطانى المألوف ، مفضلا إياها على تحذيرات . الخبراء المختصين . إنك تملكين كل ما يحتاجه الخبير يا عزيزتى إيفيلين : الصرامة الظاهرة . والعناد ، و . . . دعينى أقلها لك ، ربما أيضا نوع من العتمة الباطنة . ويبدو — على العكس من ذلك — أننى أملك هوائيات . . قد تبعث هذه الكلمة على الضحك، ممكن، ولكن الشىء الذى . .

إيفيلين : لست ارى أنك قد برهنت فيما مضى على هذه الشفافية العجيبة فى البصيرة ، يبدو إذن أنها وصلتك متأخرة . . أجل ، فان زواجك الأول . . .

أميديه : أعتقد انى طلبت منك مرة واحدة وإلى الأبد ، أن تستبعدى هذا الموضوع من أحاديثنا .

إيفيلين : آه ! هنا تخونك ذاكرتك ، يا أميديه . ففى الأيام الأولى من زواجنا . . . (تضحك) أستطيع أن أؤكد لك أنك لم تدع مناسبة لاصطحابى وراءك داخل تلك المملكة الخاصة . . بل كنت

تغريني بتوجيه الأسئلة اليك ــ ولم تتخذ هذا . الموقف الجديد إلا لأنني لم ارحب بأسرارك كما كنت تتمنى تماما . . أجل ، لأنك شعرت بأنني : أقل استعدادا للعطف عليك ، من العطف على . ضحيتك ، أجل ، وأنا مصرة على ماأقول .. ضحيتك . . .

أميــديه : يبدو لى أن هذا يمكن أن يكفى ، ياإيفيلين . ها هى أمى ، وما من أحد أجدر منها بالحكم بيننا

المنظر الثالث

نفس الأشخاص ــ مدام شارتران

مدام شارتران : ماهذا ؟ ما هذا ؟ ماذا يحدث ؟

إيفيلين : لاشيء ذو أهمية .

أميــديه : أشك ، ياأماه ، في أنك من هذا الرأى ، والأولى أن تحكمى بيننا .

مدام شارتران : (بادية الاهتمام) لاأحب كثيرا أن أضع أصبعى بين (البصلة) وقشرتها* . وعلى كل حال ، لامانع من النظر .

---

* فى الاصل بين الشجرة ولحائها او قشرتها . (المترجم) .

إيفيلين : لست على استعداد للاذعان لرأيك .

إميـــديه : تعترفين اذن بأن أمي سوف تستصوب رأيي .

أيفيلين : انى على يقين من ذلك .

مدام شارتران : إذن ؟

أميـــديه : أيدهشك أن أقول لك إن الشاب آلان دى — بوجرلان . . .

مدا م شارتران : ماذا ! انه مغرم بستللا . فعندما تكون حاضرة ، يرنو إليها في هيام .
ثم ماذا ؟

أميـــديه : لقد أبدت إيفيين منذ لحظة عنادا عجيبا في تثبيط عزيمة هذا الشاب المسكين .

مدام شارتران : يالها من فكرة عجيبة ! ماذا صنع لك ياإيفيلين ؟ هيه ؟ . . أما أنا فينبغى أن أقول إنه قد ضغط قليلا على أعصابى في بعض الأحيان بميوله — العاطفيه ، ويؤسفنى أنه قد عين في تفتيش الشئون المالية .

ولكنه ماكان ليلقى أية صعوبة في « العثور على

الجبن في في البنك » بفضل علاقات أمه . (الى أميديه .) وماذا بعد ؟

أميــديه : (في ضحكة قصيرة يشوبها الامتعاض) إنك تتخيلين صورا مدهشة جدا ياأمي في بعــض الأحيان .

مدام شارتران : أية صورة ؟ . . . ومجمل القول ، انه شخص لابأس به ، فهو يملك المال ، والآمال الجميلة .. ثم إنه ينبغى أخيرا — ولنتكلم بصراحــة فيما بيننا — أن نرى الأشياء كما هى ، وليــس المقصود أن نتشدد ونعمل على تعقيد المسائل .

إيفيلين : ماذا تقصدين ؟

مدام شارتران : لاداعى للمواربه ، فانت تفهمين جيدا أن الناس جميعا يعرفون أن امها كانت نزيلة إحــدى المصحات العقلية . . وعليك استخلاص النتائج.

أميــديه : إن أمى — بنظرتها الواقعية إلى الموقف ، على صواب تماما ، فيما اعتقد .

إيفيلين : لقد رضيت فعلا بترويج ابنتك بأبخس الأثمان .

أميــديه : عفوا : فان ابن مارى — إستيل . . .

إيفيلين : كان ذلك منذ مدة طويلة !

أميديه : تستطعين أن تلمحي ، ياأمي ، كيف تفقد إيفيلين في هذا الموقف كل ماتملكه من هدوء الأعصاب .

مدام شارتران : انى لأتساءل لماذا (تضحك) أى ضير يعود عليها في هذا كله ، آخر الأمر ؟

إيفيلين : انت لاتفهمين شعورى نحو ستللا . ولن أسمح لأحد بتحطيم وجودها .
لقد تألمنا في هذا البيت بما فيه الكفاية .

مدام شارتران : من أين أتيتِ بهذا يا إيفيلين ؟ لقد عشنا هنا دائما حياة غاية في اللطف .

إيفيلين : حين أتحدث عن العذاب ، فمن الواضح أننى لا أعنيك أنت .

أميديه : احكمى على النية .

مدام شارتران : في زمنى لم يكن العذاب الاخلاقي يا صديقتى الصغيرة يثير من الضجة أكثر مما يثيره وجع في الأسنان ، أو مغص كلوى .. وكنا حينذاك على صواب . وفضلا عن ذلك ، بما أنك لست أكثر مسيحية منى ، فأنا لا أرى ...

إيفيــلين : أرجو ألا اكون عديمة الاحساس تماما .

أميــديه : انك في سبيلك الى ذلك يا ايفيلين ، وهذا أمر لا أستطيع اخفاءه عليك . وذلك الحنان المفرط الذى تحملينه لابنتى لم ينشأ إلا من رغبتك للكيد الموجه ضدى ، واخشى ، أن يكون موجها ضدك أنت يا أماه .

إيفيــلين : كيد ! إنك تـُعيرنى مشاعرَ مصنوعةً على مقاسك انني . . .

أميــديه : أهذا اعلان حرب ؟

إيفيــلين : إذا أردت .

أميــديه : فليكن ، فلقد أحببت دائما المواقف الواضحة .

مدام شارتران : أجل ، وأما أنا ، فأريد سكينة نفسى . واذا أخذت هذا الكلام على محمل ما ، يا إيفيلين ، فسأذهب إلى الفندق ، على نفقتك طبعا .

(تضحك)

إيفيلين : (توجه كلامها بصوت متهدج إلى آرنو الذى يدخل في هذه اللحظة) آرنو ، هل لك في أن تأتى معى إلى الحديقة ، بضع دقائق. ، فلا بد أن أتحدث إليك .

آرنـــو : ألم تنزل ستلا بعد ؟

أميـــديه : لا أعرف .

مدام شارتران : إنها فتاة صغيرة تصغى إلى نفسها أكثر مما ينبغى .

(يخرج آرنو بصحبة إيفيلين)

المنظر الرابع

اميديه ــ مدام شارتران

(ينظر أميديه في الاتجاه الذى خرجت منه إيفيلين ، تستولى عليه رعشة لايملك المرء إلا أن يشك في تلقائيتها ، وحين لاتعيرها أمه التفاتا ، يبالغ فيها أميديه باصدار صوت مسموع ، ثم بسعال مصطنع وكأنه مريض في أشد حالات المرض)

مدام شارتران : ماذا بك ؟ أأنت مريض ؟

أميـــديه : مرضا لايصيب الجسم .

مدام شارتران : اذن ، فكل شيء على مايرام. لقد أصبحت زوجتك في حالة لاتسمح بمعاشرتها ، وإنى لاتساءل : كيف سينتهى هذا كله . ؟

إميـــديه : « قليل من الصبر ، وينتهي كل شيء على أسوأ حال » كما قال أحد الظرفاء .

مدان شارتران : يالها من فلسفة ساحرة ! لابد أنه كان يعاني من معدته ، ظريفك هذا .أما أنا ، فأرى أن الأشياء سوف تسير على مايرام بوجه عام ، هذا إذا لم نفقد الاتجاه إلى الشمال .

أميـــديه : أمن الممكن معرفة ماتقصدينه بهذا القول ،ياأماه؟

مدام شارتران : هـــذا أمر غاية في البساطة . أعني القدرة على الاستمتاع . فأنا شخصيا لا استيقظ من نومي دون أن أقول لنفسي أولا : يا صغيرتي أميلي ، ماذا تستطيعين أن تفعلي اليوم لامتاع نفسك ؟ ودائما أجد ما يجلب السرور إلى نفسي . وفي اليوم الذي لا أجد فيه بغيتي ، لا يبقى أمامي إلا اللحاق بأجدادي بأسرع السبل . . هيه ، هيه . .

أميـــديه : ولكن ، ألا تعتقدين مع ذلك أن التفكير في الآخرين . . . . ؟

مدام شارتران : خطير . فنحن لانستطيع بكل تأكيد أن نمتنع عن التفكير في الآخرين .ولكن ينبغي ألا نسعى إلى اسعادهم على الرغم منهم ، كما لاينبغي — على الأخص — أن نضع انفسنا في مكانهم ، فليس هذا ممكنا ولا طبيعيا . إننى أومن — في الحياة — بالمقاعد ذات الأرقام . إليك إيفيلين مثلا مثلا ، إنها لم تفهم بعد هذا ، وذلك ما يجعلها غير محتملة . فاذا عرفنا — بالاضافة إلى ذلك ، أنها كانت تريد أن تكون مشرفة اجتماعية . . أدركنا أنه حب التدخل ، ولاشيء سواه .

أميـــديه : لو أخذت بآرائك ، يا أمى ، لما بقى لى — على ما اعتقد ، الا أن احزم متاعى . فأنا لا أعرف ان « المتعة » تحتل مكانا — ايا كان نوعه — في وجودى . . . الخراب .

مدام شارتران : تاتاتا ، ليس خربا إلى هذا الحد .

أميـــديه : إننى وحيد جدا ، يا أماه .

مدام شارتران : أنت ؟ إنك تصحب معك دائما معرضا صغيرا للتحف . وأنت لاتحيا إلا من أجل هذا المعرض،

أوه ! إنني مطمئنة تماما ، لأنك ستحتفظ به حتى لايكون ثمة ظمأ . لاينبغي أن تحسبني بلهاء .

أميـــديه : (بعد هنيهة) إنني أشدّ وحدة عما كنت اعتقد يا اماه .

المنظر الخامس

نفس الأشخاص ــ ستللا

(تبدو شديدة الشحوب ، وملامح وجهها مشدودة كشخص لم يذق طعما للنوم)

أميـــديه : (في رعايـــة مسرحية) هـــل استطعت أن « تستريحي » قليلا ؟ (تهز ستللا رأسها بحركة تدلّ على النفي) إنني اتساءل ، أمن الممكن أن أعطيك منوما خفيفا هذا المساء .

مدام شارتران : أوه ! كل هذه العقاقير تعمل على تسميمك .

ما عليها إلا أن تتمشى قليلا بعد العشاء : فهذه وصفة لايعلو عليها شيء .

أميـــديه : (في لهجة مؤثرة) الطفلة المسكينة لاتستطيع الوقوف على ساقيها .

مدام شارتران : كم تستطيعون مضايقتى جميعا ، بهذا الحال الذى أنتم عليه !

(تخرج)

المنظر السادس

ستللا ـ اميديه

(ستللا غائصة في مقعد وثير ، تنظر أمامها في الفـــراغ)

أميـــديه : أقرر ، ياصغيرتى المسكينة ـ أوه ! دون دهشة ـ أنك لم تملكى بعد زمام نفسك ، لماذا لم يسمح لى بأن أجنّبك هذا كله ؟ . . .

ســـتللا : اسمع يا أبى ، أريد أن أطلب منك شيئا . . أنا أدرك أن هذا لايبدو لطيفا . . ولكنك تتخذ طريقة للتعبير عن نفسك . . . في هذه اللحظة لا أستطيع . لو شئت أن تبذل مجهودا للحديث ببساطة تامة . . . أنا شقية غاية الشقاء . . ضائعة أشد الضياع ، أتفهمنى . . . ؟

أميـــديه : (في رفق) أجل يا ابنتى ، انك مرهقة جدا . .

سأرغم نفسي على ذلك ، وإن كنت لم أفهم جيدا . . .

ستللا : شكرا (صمت) الخطاب الذى تحدثت عنه الآنسة فرو ، أأنت على ثقة تماما ؟ . . . وعلى كل حال ، لم تعد لدى الشجاعة على قراءته . . وإن كنت أشعر بالحاجة إلى أن . . اتمثله . .

أميذيه : لاينبغى أن تفكرى في هذا الأمر .

ستللا : لماذا ؟

أميديه : لقد عاشت أمك في عالم غريب كل الغرابة عن عالمنا . . عالم لاسبيل إلى التفكير فيه .

ستللا : منذ البداية ؟ . . . عندما تزوجتها ، ومع ذلك. . .

أميديه : أى ابنتى . كنت أوثر أن أراك تواجهين المستقبل مستقبلك أما ذلك الماضى المظلم الذى لا تستطيعين اقتحامه فلا يمكن إلا أن يقذف على وجهك بأبخرة . . . ماذا أقول . . . أبخرة قاتلة

ستللا : تذكر ، ياأبى ، ماوعدتنى به .

أميديه : (بلهجة حادة) لااستطيع ان اعبر عن نفسى — على كل حال — بلغة البرابرة ، ياستللا .

ستللا : أنت تطلب منى أن التفت إلى المستقبل ، ولكن يبدو لى أننى بلا مستقبل .

وليس أمامى سوى جدار ، هو بالضبط . . . الماضى .

أميديه : ذلك الماضى لاينتسب اليك .

ستللا : ولكننى أنا التى انتسب إليه ، حتى عطلاتنا الصيفية في الانجادين . . .

أميديه : وماذا بعد ؟

ستللا : حتى التقينا بإيفيلين . . كانت أمى ممتزجة بكل افكارى . . بل لقد أهديتها . . هذه الافكار . وحتى بعد ذلك ، كانتا اثنتين ، وهذا كل ما في الامر . . أو بالأحرى . . . إيفيلين ، كنت واثقة أن أمى هى التى أرسلتها إلىّ . واعتقدت أن ثمة شيء يحرسنى . . وظننت أننى لا أستطيع العيش إن لم أشعر بأن هناك من يرعانى . لاأقصد الله ، فأنا لست مثل آرنو ، وإنما شخص — حقيقى . . . ولهذا قلما كنتُ أضع أىأسئلة . . أخاف . . لست أدرى من أى شيء بالضبط ، ولكننى كنت خائفة . وفي هذه الأيام الأخيرة كبر

ذلك الخوف ، حتى كان ذلك اليوم . . والآن ، يبدو لى أننى كنت ضحية خيانة شنيعة . وربما كان أشنع مافيها ، أن أحدا لم يقترفها . . كلا ، فمن المفروض ألا أتهم أحدا . أليس كذلك ؟ . . كل مافي الامر ، أشعر كأننى انزلق ، فاحاول أن اتمسك ، فلا استطيع ، إذ لاأجد سندا أتكئ عليه . (صمت) لماذالاتجيب بشيء ؟

أميديه : ياابنتى ، أنت وأنا ، شخصان منكوبان ، كنت أقول ذلك منذ لحظة لجدتك المسكينة التى بلغت من العمر عتيا بحيث لاتستطيع ادراك معنى ذلك القول . . . ستللا ، نحن متشابهان بصورة عجيبة .

ستللا : حقا ؟ ماكنت لاعتقد ذلك . فإيفيلين تقول إنك تشبه جدتى .

أميديه : ياله من ضلال ! أنت وأنا ـ ياستللا ، من أولئك الأشخاص النادرين جدا ، الذين كتب عليهم العذاب لأنهم لايحيون الابقلوبهم . . أجل ياابنتى ، إننى أفضى إليك في هذه اللحظةبأعمق أعماق نفسى . بالقلب وحده .

ستللا : كنت أعتقد أن العقل والثقافة ، بالنسبة إليك. ..

أميديه : لايزيد هذا كله عن أن يكون قشا أو أوراقا يابنة .. القلب ، ياستللا ، القلب ! . . (يضغط على نطقه لكلمة قلب) .

ستللا : لابد أنك تألمت كثيرا (لايرد عليها أميديه إلا بتنهيدة عميقة ، تأخذ في الخفوت شيئا فشيئاً) وهي أيضا ؟

أميديه لقد كانت تنتمي إلى نوع آخر لانشترك معه في شيء.

ستللا : ومتى . . .أدركت ذلك ؟

أميديه : عندما تزوجتها . كنت أحيا بلا اوهام ياستللا . وكنت احتفظ دائما بتلك الميزة الحزينة وهي أن اتنبأ بالأمر دون أن احاول منعه .

ستللا : ولماذا لم تحاول ؟

أميديه : إنه حب المصير Amor forti . أتدرين ما تعنيه هذه العبارة ؟

ستللا : كلا .

أميديه : وأسفاه . ثمة جهل يعد من قبيل التهاون ، من من رثاثة الهيئة .

ستللا : يوسفني . . .

أميديه : لاعليك . . . ياصغيرتي ستللا ، أحب أن أعقد معك نوعا من التحالف .

ستللا : ولم لا ؟ ضد من ؟

أميديه : ضد لاأحد . . . أو بالاحرى : ضد ذلك الإله الذى لاوجه له ، والذى لانستطيع حتى اتهامه ، وما هؤلاء الناس حولنا إلا دمى له . . وما أكثر المهرجين !

ستللا : لست أدرى عمن تتحدث .

أميديه : بل أولى بك أن تفكرى في أولئك الذين قدر عليهم الارتباط بنا . وأفكر بوجه خاص في صديقتنا العزيزة جدا مدام دى بويجرلان التى تستطيعين أن تجدى عندها في تلك الظروف صدرا حنونا .

ستللا : أوه ! يا أبتاه ! . . . .

أميديه : وأفكر أيضا في شخص قريب منها أشد القرب . أهناك حاجة إلى ذكر اسمه ؟

ستللا : لاجدوى من هذا كله .. اخبرنى : هل يعرفون ذلك الأمر الرهيب ؟

أميديه : سبق لى أن اطلعت مارى – إستيل بنفسى على كل شيء .

ستللا : ماكان ينبغي لك .

أميديه : في بعض الساعات السوداء ، كانت ملاذى الوحيد . فهل قررت أنه من الافضل الإفضاء إلى آلان بهذا السر؟ جائز ! والحق أننى لم اتقص هذه المسألة ، فبينهما علاقة حميمة بدت لى دائما في غاية من الروعة .

ستللا : إذن ، فهو محيط بكل شيء ؟ . .

أميديه : يكاد يكون ذلك مؤكدا ... (تخفى ستللا رأسها بين راحتيها) . ولكن هل أفسدت – معرفته بهذا السر مشاعره نحوك ؟

ستللا : وما العلاقة ؟

أميديه : ينبغي ألا أخفى عليك ، فان كثيرا من الشبان قد يعرضون في شيء من الذعر عن انسانة . . .

ستللا : آه . . . ولماذا ؟

أميـــديه : ستللا ، لعلك لاتشكين في ذلك ؟

ســـتللا : اذا شئت أن تحدد جيدا .

أميـــديه : أوثر اعفاء نفسى من ذلك .

ســـتللا : ألأن أبناء . . . المرأة المجنونة يكونون مهددين بذهاب عقولهم ؟

أميـــديه : ثمة فكرة مسبقة – في هذا المجال – على الأقل راسخة جدا ، وثابتة الأصل جدا . فالحقيقة أن آلان الشهم يدافع في عزم صادق عن حبه . أجل ، ياستللا ، هذه كلمة ينبغى أنتستمعى إليها دون أن ترتعد فرائصك .

ســـتللا : لقد قلت إنها فكرة مسبقة : فلماذا ؟

أميـــديه : لايمكن أن يتعلق الأمر بشيء آخر .

ســـتللا : أأنت على يقين من ذلك ؟

أميـــديه : من أشد الخطر أن يشك المرء في ذلك . والاعتقاد في مثل هذا الخطر يزيده استفحالا .

ســـتللا : وهل هو موجود ؟

أميـــديه : فلنحاذر من ذلك الإله الذى لا وجه له .

ستللا : (في تقزز) آه ! .. النوم .. ليتني استطيع النوم .

أميديه : سأحمل إلى حجرتك هذا المساء قرصا منوما ، عملا بنصيحة جدتك الطيبة .

ستللا : (بانفعال) أتحبني قليلا يا ابى ؟ أخبرني بالحقيقة ، أنا لا أطالبك بعبارة من تلك . . فحينما تقول عبارات معينة ، فكأنما ثمة شيء لاأدرى ماهو . . شيء لاسبيل إلى قهره ، يكذب تلك العبارات كلما مضيت في الحديث . . « ليس هذا حقا . . ليس هذا حقا ، ليس هذا حقا » ، وكأنها حركة البندول .ربما لم تكن هذه غلطتك . . أجل ، ربما كان ذلك . . ضربا من الضعف .

ولكن ، أتشعر به ؟ إنى أخاف أشد الخوف من أن أكون ظالمة . . سيكون الأمر شنيعا جدا إذا أنا أسأت فهمك لمجرد أن . . . (يضع أميديه يده في كف ستللا . فترة صمت) شكرا ياأبى شكرا على سكوتك . أجل ، إننى أشعر بأنك كنت على صواب : نحن متحالفان، ولكن ضد أى شيء ؟ ضد أى شيء ؟ استمر في سكوتك ، فلا

تجيب عليّ . . (بصوت خافت) لعلى —.
أصغى إلى . . . روحك . . للمرة الاولى . .
لاتقل شيئا ، لاتقل شيئا ، سأغمض عينيّ .

(تتمدد على الأريكة وقد أدارت وجهها نحو الحائط)

أميـــديه : أيتها الساحرة . . الصغيرة ! (انتفاضة مـــن ستللا تكشف عن الانطباع الأليم الذى تبعثه فيها هذه اللهجة الزائفة . يبتعد أميديه على أطراف قدميه ، يفتح الباب دون جلبة ، يظل الباب مواربا لحظة واحدة ، نستمع بعدها إلى صوت آخر .) شكرا . (يعود إلى ستللا ، ممسكا بخطاب في يده .) هذه رسالة أحضروها من توّهم إليك . من آلان دى بويجرلان .

(في حرص مفرط) سأضعها هنا . . على هذه المنضدة الصغيرة . . فاقرئيها عندما تشعريـــن بالراحة .

(يخرج)

المنظر السابع

ستللا ــ ثم آرنو

(تبقى ستللا في بادئ الأمر بلا حراك ، ثم يبدو عليها أنها تريد التقلب على الأريكة لكي تستعيد وضعها الأول ، نشعر بأنها فريسة لقلق شديد ، إذ تتململ في جلستها .

وأخيرا تنهض بحركة مفاجئة ، وتتناول الخطاب ثم تفضه بحركة تشنجية ، وتجلس لكي تقرأه ، تهز رأسها أثناء القراءة . تضع الخطاب إلى جانبها بعد أن فرغت من قراءته ، ثم تستغرق في أفكارها ، وقد وضعت رأسها بين راحتيها ، يدخل آرنو في هذه اللحظة ، ثم يتوقف مأخوذا) .

ستللا : (وقد لاحظته) آه ! لقد أفزعتني . . .

آرنو : (في حنان) كيف تشعرين الآن ، ياستيل مازلت شديدة الشحوب .

ستللا : أين إيفيلين ؟

آرنـــو : لقد تركتها منذ لحظـــة .

ستـــللا : أعرف ذلك ، فلقد رأيتكما من حجرتى — معا في الحديقة . وكانت تتحدث في انفعـــال ظاهر . . ماذا كانت تقول لك بكل هذه الحدة؟ أما أنت ، فكنت تبدو مرتبكا ، حائرا ، — مترددا .

آرنـــو : (في سرور) اذن ، فقد لبثت في النافذة — تراقبيننا ؟

ستـــللا : كنت مندهشة . . . (جرس التلفون)

آرنـــو : سأرد انا . (يرفع السماعة) آلو ! أهذه أنت ياماجى ؟ كلا ، إيفيلين ليست هنا ، ولكننى اعتقد تمام الاعتقاد أنها في طريقها إلى رؤيتك . . . عفوا . . إلى اللقاء ياماجى .

(يضع السماعة)

ستـــللا : ألا تعتقد أنها تتقرب من ماجى لمجرد مضايقـــة أبينـــا ؟

آرنـــو : إن ماجى هى التى جاءت إلى أورشان ، وسأجعلك تلاحظين . . .

ستللا : أيا كان الأمر ، فأنت أيضا منحاز إلى صفها ...

آرنو : كيف ؟

ستللا : لقد قلت إنك ترى ماجي فاتنة .

آرنو : وماذا في ذلك ؟

ستللا : إن لها عينين على ناحيتي رأسها ، وفما أشبه بفم السمكة . . . ولكنني أعلم جيدا أنك لم تنظر إلى امرأة قط في حياتك ولا حتى إلى إيفيلين .

آرنو : سيان .

ستللا : والدليل على ذلك : مالون شعرها ؟

آرنو : أقرب إلى البني ، على ما أظن .

ستللا : إطلاقا . . بل مائل إلى الحمرة . إن شعر إيفيلين مائل إلى الحمرة .

آرنو : إذا كان ذلك يرضيك . . .

(صمت . يتفحص ستللا)

ستللا : أنت طائش يا آرنو ، ولطيف إلى أقصى حد . وعندما كنا أطفالا ، كنتَ تغضب أحيانا ، وهذا لم يعد يحدث لك الآن اطلاقا . لعله نوع من الشيخوخة .

آرنو : (مبتسما) استمرى. (مشيرا إلى الخطاب) أهذه الرسالة هى التى وضعتك فى تلك الحالة.. البركانية الثائرة التى أراك عليها ؟

ستللا : بل إنها تسبب لى سرورا عظيما. فلقد أصبحنا مخطوبين رسميا، ابتداء من هذه اللحظة. أنا فى غاية السعادة.

آرنو : غير أن عينيك مليئتان بالدموع.

ستللا : ما معنى الدموع ؟ من الممكن أن يبكى الانسان فرحا.

آرنو : طبعا.

ستللا : ماذا تأخذ عليه ؟ (تعبير استفهامى على وجه آرنو) أقصد، على آلان.

آرنو : لا شىء بكل تأكيد.. إننى أحبه كثيرا.

ستللا : أنت تحب الناس جميعا، وهى طريقة مسيحية للقول بأنك لا تعبأ بهؤلاء ولا بهؤلاء.

آرنو : (فى سخرية محببة) بلى. فأنا لا أعبأ بك مثلا.

ستللا : تعتقد أنك تمزح، ولكننى أعرف جيداً أن هذه هـى الحقيقة. فلو وضعت فكرة فى رأسك،

واستلقيت أنا في عرض الطريق ، لعبرت من فوقي ـ أوه ؟ وأنت تباركني .

آرنـــو : (في قلق) أية فكرة ؟

ستـــللا : أية فكرة كانت . مشروع زواج مثلا .

آرنـــو : ها هو الاطمئنان يعاودني .

ستـــللا : ألن تتزوج ؟

آرنـــو : جائز .

ستـــللا : ولماذا ؟ إنه شيء سخيف .

آرنـــو : من الأفضل أن نتحدث عن آلان . هل ترويت في الأمر ؟

ستـــللا : ثمة فرص كثيرة . وأنت تعرف أن الوقت طويل أمامي . فلن يأخذني على حين غرة .

آرنـــو : كلا . . . ولكنني في دهشة إلى حد ما .

ستـــللا : ولماذا . ؟

آرنـــو : منذ بضعة أيام ، كان يخيل إليّ أنه يرهقك .

ستـــللا : لسنا في حاجة إلى البحث عن شخص مُسَـــلٍ لنتزوجه .

آرنو : كنت تقولين لى : إنه رخو ، وانه يفتقر إلى الحيوية ، وإلى الرجولة .

ستلا : أعتقد اعتقادا جادا انه سيكون شقيا لو رفضت.

آرنو : أهذا سبب كاف يدفعك إلى القبول ؟

(صمت)

ستلا : أهي إيفيلين التى وضعت في رأسك هذهالأفكار؟

آرنو : وكيف ؟

ستلا : الان ، في الحديقة . . .

آرنو : اعترفي بانك تغيرت فجأة يا ستيل .

ستلا : ممكن .

آرنو : ولماذا ؟

ستلا : أترىَ أنه لم يحدث شيء . . يدعو إلى الدهشة منذ يومين ؟

آرنو : لا أرى معقد الصلة .

ستلا : ومع ذلك ، كنت تعلم . أليس كذلك ؟

آرنو : (بعد تردد) أجل .

ستلا : من ذا الذى أنبأك ؟

آرنـــو : أفضى إلىّ أبى ببضع كلمات . . . منذ أمد ليس بعيدا .

ســتللا : أما أنا ، فقد تركونى أتخبط في جهلى . لماذا ؟ وعند ما كنت أسألك ، كنت تتظاهر بأنـــك لاتعرف شيئا أكثر منى . . آه ! كم كذبت على ياآرنو ! وهذا الخطاب الذى تحدثت عنه العجوز المأفونة . . من أدرانى بأنك لم تتسلّمه ، وبأنك قرأته ، ومزقته ؟

آرنـــو : أقسم لك بأن شيئا من هذا لم يحدث . ولكى أريح ضميرى ، اعترف بأننى اتصلت تلفونيا بموثق العقود ، فعلمت أن هذا الخطاب لم يوجد على الاطلاق .

ســتللا : ليس لدى أى باعث يدفعنى إلى تصديقك . إن دينك يحبذ الكذب على سبيل الاحسان . الاحسان ! يالها من كلمة فظيعة ! مهينة . مهينة .

لماذا كتموا عنى كل شىء ؟ مم كانوا يخافون ؟ أليست لى نفس الحقوق ؟ أهو المشرف على ضميرك الذى اوصاك بذلك ؟ أم إيفيلين . . أى دور تلعبه إيفيلين في هذا كله ؟

آرنـــو : ليس من حقك الارتياب فيها .. إنها تحبك من كل قلبها .

ســـتللا : وهاهى قد قدمت لك الدليل على هذا ، أليس كذلك ؟ هذا هو الموضوع تماما .. إنهـــم يعاملونى .. كما لو كنت مجنونة فعلا ..

آرنـــو : (مذعورا) — ستللا !

ســـتللا : إنك تنظر إلىّ ، أنت وراء القضبان .. كيف لاتدركون انكم تدفعون بى إلى الجنون ؟

آرنـــو : (في قلق متزايد) لاأريد أن تحبسى نفسك في هذه الفكرة .. إنها تحطمك ياصغيرتى ستيل .

ســـتللا : وماذا أنت فاعل لانتزاعها من نفسى ؟

آرنـــو : ليتك توافقين عـــلى الحضور أحيانا .. إلى القداس ....

ســـتللا : هذا بالضبط مالا ينبغى أن يقال .. دواء — وقاية . هذا ماتعرضه علىّ ... أما الآن ، فيحبنى ، باختصار إنه يمد إلىّ ذراعيه ، بدون أن ينتابه الخوف . إن كان هناك من يستطيع انقاذى ، فلا بد أن يكون هو .. إنى أناديه .. وتستطيع أن تسمع ما سأقوله له .

آرنـــو : كلا ، كلا . . .

ســـتالا : لن تحول بيني وبين . . . (ترفع سماعة التلفون) الخامس عشر ، من فضلك .

آرنـــو : ستللا ، أصغى إلى .

ســـتللا : (في التلفون) أهذه أنت ياسيلفى ؟ أيستطيع الآن أن يأتى إلى التلفون ؟ .

خرج ؟ أوه ! . . ولكن حين يعود ، فليتكرم بطلبي ، هناك مانع ؟ أجل ، لدى رسالـــة عاجلة ينبغى أن انقلها اليه . هل أنت بخير ؟ . . (بصوت مرتجف) سآتى لأقبلك في آخر النهار .

(تضع السماعة)

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ـ ايفلين

إيفيـــاين : إلى من كنت تتحدثين بالتلفون ؟

ســـتللا : (في جفاء) حسبتك عند ماجى .

إيفيـــلين : كلا .

ســـتللا : انه آرنو الذى أنبأنى بذلك . لقد اتصلت بالتلفون وهى في انتظارك .

إيفيلين : هل أعاد آرنو على مسامعك الحديث الذى دار بيننا ؟

ستللا : لاشيء من ذلك .

آرنو : (إلى إيفيلين) لقد تلقت ستللا في التو رسالة من الآن . .

ستللا : تستطيع أن تقول انه طلب للزواج . وقد قبلته .

(صمت)

إيفيلين : (في صوت خافت ، متألم) ماذا صنعت لك ؟

ستللا : كيف ؟ أنا لا أفهم سؤالك ؟

إيفيلين : اللهجة التى ترفضين بها — ياعزيزى . الاجابة علىّ : ؟

ستللا : إننى مرهقة أشد الارهاق ، وانت تعرفين تماما أننى لم أذق للنوم طعما .

إيفيلين : آرنو ، ألا تستطيع أن تشرح لى ؟

ستللا : لن يكون ذلك في حضورى .

إيفيلين : آه ! تعرف أن . . .

ستللا : سيتضح كل شيء ابتداء من هذا المساء. (بغتة) أأستطيع أن أعرف لماذا لقنت آرنو ذلك الدرس؟

آرنو : أنتِ مستحيلة .

ستلا : ولِمَ هذه المراوغة ؟

إيفيلين : منذ يومين ، وأنتِ تتهربين منى .

ستلا : كنتُ في فراشي .

إيفيلين : كأن شيئا قد انقطع بيننا ، دون أى سبب . انكسر . ذلك القرار المخبول ، أجل ، إنى متمسكة بهذه الكلمة . . المخبول ، الذى اتخذته ضدى . ولو أننى أيدتك ، لعدلتِ عنه .

آرنو : أعتقد أنك مخطئة يا إيفيلين . فمنذ أن علِمتْ ستلا ، تتخيل أن وجودها ينطوى على خطر يهددها ، قدر محتوم عليها ، وأنت تفهمين ما أعنى . وتعتقد أنها أُبعدت فعلا عن الاتصال بالبشر . . منبوذة . . وها هو الآن يعرض عليها ملاذا ضد هذا الارتياب في الآخرين . . ضد ما يساورها من قلق . . . ولهذا فانها تندفع نحوه .

ستلا : كفى .

إيفيلين : لقد خمنتُ هذا . . ولكن ، هذه هى الفكرة التى ينبغى بالضبط القضاء عليها . . انصتى إلى . . حبيبتى .

كثيرا ما راقبتُك وأنت مع آلان : رأيت أنـه يبعث الملل إلى نفسك ، ويسبب لك الارهاق ، وسيفعل ذلك بك دائما . إنى على يقين من ذلك وهذا ما أعرفه . إنه واحد من أولئك المخلوقات الذين يقضون حياتهم في التحسر على نفسه وفي استدرار عطف الآخرين . وهذا الأمان الذى تطلبينه منه ، لن يعطيك إياه . بل على العكس ، انه لا يملك إلا أن يُسْلِمَكِ إلى تلك القــوى المجهولة الموجودة فيك ، مثلما توجد في كل واحد منا . . مثلما توجد في كل واحد منا ، دون أى اختلاف . وفي سعيك إلى الهرب منها ، تتخلين عن نفسك . .

ستــلا : الأمر أشد تعقيدا بالنسبة لى .

إيفيلــين : إنك تبعثين اليأس إلى نفسى . .

ستــلا : ولكن ، لم كل هذا الاصرار ، في نهايــة الأمر ؟ . . ولماذا لاتدركين انك تقاتلين ضد أبى في هذه اللحظة ؟ فكرة واحدة تسيطر عليك ، هى إيذاوه ، وجرحه وتحطيمه . . . لم أعرف انسانا قط ، اقل من ذلك كرما .

آرنـــو : ستللا ! (صمت)

إيفيــلين : أقسم لك انك لمخطئة . . . فانا لاأظن — أولا — أنه متمسك بهذا الموضوع التمسك الذى تحسبينه . فلديه مشاغل أخرى (حركات من ستللا) كلا . اعرف أنك الآن في اللحظة الحاسمة من حياتك ، هذا كل مافي الأمر . . .

ســتللا : هذا غير صحيح . فالزواج التعس ، يمكن أن تنفصم عراه . ولى صديقتان طلّقتا بعد ستـــة أشهر من زواجهما .

إيفيــلين : أعرفهما ، إنهما امرأتان ضالتان . غير أنـــك تقولين أى كلام ياحبيبتى . . . أتتخيلين — مصادفة — أن آلان يمكن أن يدعك ترحلين ؟ إنه سوف يتشبث بك ، ولن يتراجع أمام أى ابتزاز . . وسيكون هذا هو الجحيم بعينه . ستللا ، لقد وقَعَتْ هنا ، ومنذ زمن بعيد ، أحداث مريعة ، ولا أريد أن يبدأ كل هذا من جديد .

لن أسمح به .

ســتللا : وما حقوقك ؟

إيفيلين : للحنان كل الحقوق .

ستللا : الحنان ! انت امرأة قاسية ، ياإيفيلين ، وقد لاحظت ذلك منذ زمن طويل .

إيفيلين : ان التفكير في سعادتك لم يفارقنى قط . انا لا أومن إلا بالسعادة ياستللا وأرتاب في اولئك الذين ينكرونها فهذا مريع للغاية ، ويبيح كل شيء .

ستللا : (إلى آرنو) إنها تقصده هو أيضا بكلامها في هذه اللحظة .

إيفيلين : ستللا ، لقد أخذت منذ يومين ترددين أن أباك ضحية ، وجعلت تتغذين على ذلك الاعتقاد ، ولهذا تنظرين إلىّ بهاتين العينين القاسيتين . وبعد ، ليس ذلك صحيحا .

ستللا : انى امنعك من اتهامه . آرنو ، تقدم لنجدتى !

آرنو : هذا كله فظيع ، ياإيفيلين ، كيف لا تردين إنك وأنت تحاولين معاونتها . . .

إيفيلين : أنت لاتريد أن تفهم أن هناك غلطة تُضنيها ؛

ستللا : كلا .

إيفيلين : غلطة تسممها . . . وسوف تقضى عليها . أقسم لك أن هذه اللعنة لم تحل بك

ستلا : ماذا تعنين ؟

إيفيلين : إن أمك لم تكن ما تعتقدين . لم تكن مريضة...

ستلا : كانت مجرمة إذن ؟

إيفيلين : ولا هذا .

ستلا : لقد أرادت قتله .

إيفيلين : لقد أرادت أن تعيش . . بكل بساطة .

(تطلق ستلا صرخة وتهوى غائبة عن وعيها بين ذراعى آرنو)

ستار

الفصل الثالث

نفس الديكور ـ الساعة الثامنة والنصف مساء

المنظر الاول

آرنو ـ مدام شارتران في ثياب السفر

مدام شارتران : أكانت خالتك ماتيلده هي التي ردّت بنفسها على التلفون ؟

آرنـــو : أجل ، ياجدتي .

مدام شارتران : ولكن أأنت متأكد من أنهـــا سمعتك جيـــدا ؟ إن سمعها قد ضعف كثيرا ، وإن كانت لاتريد أن تعترف بذلك . هل بدت عليها الدهشة ؟

آرنـــو : لابصفـــة خاصـــة .

مدام شارتران : إذن ، فهي لم تفهم ماقلته لها . لابد من تذكيرها فها أنت ترى أنني سأحل على بيتها في الساعـــة الحادية عشرة مساء دون أن يكون هناك أي ـ استعداد لاستقبالي ! سيكون أمرا لطيفا .

آرنــو : القلق يستولى عليك دون جدوى ، ياجدتى . أنا على يقين تماما من انها تنتظرك .

مدام شارتران : أنت على يقين ، أنت على يقين ! ماذا قالت بالضبط ؟

آرنــو : لا أتذكر الكلمات طبق الأصل .

مدام شارتران : (ثائرة) ياصديقى الطبيب ، سأبقيك — أنت — معى . ان لك طريقة غريبة في أداء المهام . . . (لا يتأثر آرنو بما تقول) إنك تجعلنى أغلى !

المنظر الثاني

نفس الأشخاص ـ أميديه

أميــديه : حسن ، أراك وقد امتشقت أسلحتك ، يا أماه .

مدام شارتران : لم تفهم ماتيلد شيئا . وسأجدها نائمة ، والخادم أيضا . لن أجد مفرا من قضاء الليلة في الفندق .

أميــديه : طبعا لا يا والدتى ، طبعا لا ، إنك تعذبين نفسك بلا مبرر ، هذا شىء أنا مقتنع به . سوف تستقبلك خالتى ماتيلد بذراعين مفتوحتين .

مدام شارتران : (تضحك مستهزئة) بمرض التهاب أعصابها . .

والقول بأنه ينبغى تحمل شكاياتها من الصباح إلى المساء . . سيكون غريبا . .

أميـــديه : الجميع هنا يأسفون لما عقدت عليه عزمك مـــن تركتنا . . أتوسل إليك يا أمى أن تعيدى النظـــر في قرارك .

مدام شارتران : لست ألعوبة .

أميـــديه : ومع ذلك . اعترف بأن تغيير الهواء قد يفيدك . والواقع أننى لست راضيا تمام الرضا عن صحتك.

مدام شارتران : ولهذا السبب تبعث بى إلى شارع ميرمونسيل ؟

أميـــديه : ليس من شك أن الأميرة « تيكى » — بالاضافة إلى ذلك — ستدعوك إلى فياريجيو كما فعلت في العام الماضى .

مدام شارتران : أشكرك . . إنها مدللة . . بلهاء . . ما حكايةهذه السيارة التى لم تصل بعد !

أميـــديه : لن تتأخر . (إلىآرنو) هل اتصلت تلفونيـــا بلاندرى ؟

مدام شارتران : أوه ! إن المرء لا يفهم ما يقول ، مع ذلكالهوس الذى أصابه بتمتمة الصلوات ، فَقَدَ عادة الكلام

في وضوح وتميز . وإذا فاتني القطار ، تكون المأساة قد تَمّت فصولا .

أميــديه : في هذه الحالة تعودين للمبيت هنا ، يا أماه . . ولن تكون هذه مصيبة كبيرة .

مدام شارتران : أبدا . أنا لست ممن يُلْعَب بهم كالأثاث (فترة صمت) ألن تتكرم ستللا بتوديعي ؟

آرنــو : أظن ، أنها نائمة يا جدتي .

مدام شارتران : مضطربة تماما . . سينتهي هذا كله أسوأ ختام .

آرنــو : أسمع صوت السيارة . أتحبين أن أرافقك إلى المحطة ؟

مدام شارتران : مطلقا . . .

أميــديه : إنه أنا الذي سيضع جدتك في القطار . تعاليْ ياأمي الحقيبة على السلم . إني في دهشة من أن إيفيلين لم تأت لتوديعك ، يا أمّاه .

مدام شارتران : أنت مندهش ؟ أما أنا ، فلا ، ثم إننا قد التقينـا على العشاء ، وهذا أكثر من الكفاية .

(تخرج ، يتبعها أميديه وآرنو ، نسمع صوت رحيل السيارة ، يعود آرنو إلى الحجرة ، ويتناول كتابا ، ثم يجلس . تدخل إيفيلين في هدوء) .

المنظر الثالث

آرنو ـ ايفيلين

إيفيلين : هل رحلا ؟

آرنو : أجل ، حالا . يخيل إلىّ أنك سمعتهما . (صمت)

إيفيلين : (بصوت مرتجف) أأنت حانق على يا آرنو ؟ (حركة تملص من آرنو) وأخيرا أتلومنى ؟

آرنو : أعتقد أنه بالنيات الطيبة . . .

إيفيلين : هل أسأت اليها ؟

آرنو : أخشى ذلك .

إيفيلين : (محتدة) ومع ذلك ، لم يكن من حقى أن أدعها ترتكب حماقة .

آرنو : حماقة ؟ ماذا نعرف ؟

إيفيلين : أنت لم تفهم إذن انها لا تريد الزواج من ذلك الفتى الذى يبعث فيها الملل ، والذى ستمقته في الغد ـ إلا على سبيل اليأس والفرار من نفسها فحسب .

آرنــو : كم أنت على يقين . . . من كل شيء !

إيفيــلين : أى آرنو المسكين ، إنكلاتريد التسليم بأنالخبرة شيء صلب جدا ، بل إنها الشيء الوحيد الصلب .

آرنــو : أنت على صواب ، فانا أرفض التسليم بذلك

إيفيــلين : أظن ، انها على عكس ما تسميه بالايمان .

آرنــو : بل إنى أسميه بالأحرى الأصل ، ولكن ، أهمية لذلك .

إيفيــلين : وبالنسبة للآخرين ، ليس من حق المرء — في كل الحالات — أن يتساهل أعنى في الخبرة .

آرنــو : الآن ، فهمت جيــدا . ولكن ، يبدو لى . . لاأدرى كيف أعبر عن نفسى . . يبدو لى أنك تحسبين نفسك — تطوعا — مسئوليته عن الآخرين

إيفيــلين : من الأيسر بكل تأكيد أن يتنصل المرء مـــن

آرنــو : لست متأكدا من ذلك .

إيفيــلين : تروَّ في الأمر . .

آرنــو : ليس الصعب هو تحمل المسئولية ، بل وضعها في مكانها .

إيفيلين . لا أفهم شيئا . أما أنا ، فأعتقد أن الاغراء الذى يراودنا نحن البشر المساكين ، هو دائما الامتناع ، والتساهل . . .

آرنو : إنك تؤمنين بالفعل .

إيفيلين : بكل كيانى .

آرنو : لاشك أنك على حق ، ولكن ، أأنت واثقة من رؤيته حيث يكون ؟

إيفيلين : نحن هنا نتجادل . . .

آرنو : أوه ! كلا ياإيفيلين ، أنت مخطئة .

إيفيلين : هل تتحمل أنت مسئولية الموافقة على هذا الزواج ؟

المنظر الرابع

نفس الأشخاص ــ ماجي

ماجى : انتهزت فرصة خروج زوجك فأتيت لأقول لك كلمة يا إيفيلين . صباح الخير ، ياآرنو . (إلى إيفيلين) لقد انتظرتك حتى العشاء .

إيفيلين : معذرة ياماجى ، لم أتمكن من الذهاب إليك. فستللا ليست اليوم على مايرام إطلاقا .

ماجى : (في عدم اكتراث) ماذا بها ؟

إيفيـــلين : بل سأطلب منك أن تسمحى لى بلحظة : إذ ينبغى ان أرى اذا كانت تحتاج شيئا .

ماجى : ليس أمامى سوى بضع دقائق .

إيفيـــلين : سأعود حالا .

(تخرج)

المنظر الخامس

آرنو ــ ماجي

ماجى : يبدو أنك شديد الحزن .

آرنـــو : ليس بوجه خاص .

ماجى : هذا فظيع !

آرنـــو : كيف ؟

ماجى : هذه طريقة للاعتراف بأنه من المألوف . . . أوه ! أفهم من هذا أن الحياة هنا تخلو من البهجة. وكثيرا ماأتساءل : كيف استطاعت إيفيلين أن تتحملها . وفضلا عن ذلك . . . (تتوقف عن الكلام) وهذا أيضا لغز .

آرنــو : ولكن ألاترين أننا نتطور هاهنا متحسسين طريقنا بين ألغاز . . لا أدرى . . وكأننا في حجرة مظلمة ، وسط أثاث لا نميزه ، ونخشى أن نصطدم به .

ماجى : أبدا ، لا ، ليس لدىّ هذا الانطباع على الاطلاق . . وان كنت أجد أنه شيء لا يطاق .

آرنــو : لسنا مُخَيَّرين .

ماجى : سيان . ينبغي القول بأن أبي يتمتع بعقلية واضحة ، كما أنه مرب عظيم . ولا توجد الكلمات الــتى يمكن أن أعبر بها عن كل ما أنا مدينةٌ به إليه . ثم ، كل تلك المطالعات التى جعلنى أعكف عليها منذ أن كنتُ في الثانية عشرة . . .

آرنــو : والقلم في يدك ، على ما أظن .

ماجى : لن تصدق ما أقول . . فأنا لم أقرأ كتابا قــط يستحق العنــاء دون تدوين ملاحظاتى . أنا لا أتحدث إليك عن الروايات ، فأنا أمقتها . .وهذه صفة أخرى اشترك فيها مع أبى .

آرنــو : إن أذواقك جادة إلى أبعد حد .

ماجى : أكره الشعور بأننى أضيّع وقتى .

آرنــو : جميل جدا .

ماجى : كانت إيفيلين مثلى ، فيما مضى ، ومنذ أن تزوجت ، لست أدرى .. لقد لاحظت أن الزواج يصاحبه عندنا في أغلب الأحيان ، توقف في التطور .

آرنو : وعند الرجال ؟

ماجى : لا أدرى . (صمت) انك تستدرجنى إلى نقطة ليست لديك عنها أية فكرة .

آرنو : آسف .

ماجى : لماذا ؟

آرنو : لا بد أنه احساس بغيض ، ألا أستطيع . . . الاندراج في فئة . أليس كذلك ؟

ماجى : ليس ذلك فحسب ؛ كلا ، بكل تأكيد .. بل سأفضى اليك باعتراف يدهشك .. إننى كثيرا ما أفكر فيك ، أتعرف لماذا ؟ توجد بغرفتى نسخة من « الفارس » الموجود في متحف آنفرس كما تعلم ، وأنا أرى أنك تشبهه . أتفهم ما أعنيه؟

آرنو : كلا . فأنا لم أسافر كثيرا .

ماجى : يا لها من متع تلك التى تحرم نفسك منها !

آرنــو : لست محبا للاستطلاع .

ماجى : هذا مالا أستطيع أن أفهمه . الحياة قصيرة كل القصر ! فكيف لا تشعر بالحاجة إلى . . لست أدرى ، أنا . . إلى جَمْع . . .

آرنــو : انطباعات جميلة ؟

ماجى : ذكريات جميلة يا آرنو ، هذا ما أريد !

آرنــو : تلك الكنوز ، لن نحملها معنا .

ماجى : إلى أين ؟ ما أشد غرابتك ! إليك مثلا أبى ، خلال أمسيات الشتاء ، إنه يعيد قراءة دليل كل بلــد زارها ، وهو يعيد النظر إلى البطاقات البريدية ، والصور التى التقطها لتلك الرحلات .

آرنــو : هذا نوع من الجَرْد . . أما أنا ، فإن ذلك يفعمنى حزنا .

ماجى : أبدا ، بل إنه يشعل العاطفة . والحق ، أريد أن أقول لك ، إنك تعيش فيما يشبه الكهف .

آرنــو : لا أعتقد أن هذا صحيح على الاطلاق يا ماجى . فاذا أصررت على أن أعقد مقارنة ، قلت بالأحرى إننى أعيش فوق عباب البحر . . أما أنت . . فإنك تؤثرين الأرض الثابتة .

ماجى : لم تدرك ما أعنيه يا آرنو ، إننى أعبد الرحلات البحرية .

المنظر السادس

نفس الأشخاص ـ مدام دي بويجرلان

مدام دى بويجرلان : مساء الخير ياآرنو . . يا آنسة . . أليس آلان هنا ؟

آرنــو : كلا ، ياسيدتى ، إننا لم نره منذ بداية هــذا العصر .

مدام دى بويجرلان : لقد أردت أن اتصل بكم تليفونيا ، ولكننى لم أنجح في الاتصال .

آرنــو : كان علىّ أن أتحدث طويلا بالتلفون مع باريس من أجل جدّتى ، التى غادرتنا منذ لحظــة . . .

مدام دى بويجرلان : هكذا فجأة ، على غير انتظار ؟

آرنــو : أجل .

ماجى : (تنهض) لن تعود إيفيلين إلى النزول ، أرجو أن تحمل إليها تحياتى وآمل ألا تزداد صحة أختك سوءاً .

مدام دى بويجرلان : ستللا ؟ . .

آرنـــو : كانت قد استيقضت لحظة عصر هذا اليوم ، ولكنها لم تشعر بأنها على مايرام ، فعادت إلى الرقاد من جديد .

ماجى : إلى اللقاء ، ياآرنو ، كلا ، إنى ارفض ــ بكل تأكيد ــ أن اجدك بجارا ، مهمـــا كانـــت الظروف .

(يرافقها آرنو حتى الباب)

المنظر السابع

آرنو ــ مدام دي بويجرلان

مدام دى بويجرلان : آرنو ، انى أتعذب ، ولن تستطيع أن تعرف إلى أى مدى .

آرنـــو : لاأعتقد أن هناك مايدعو لذلك ، وهذا ماأؤكده لك . فانت تعرفين جيدا أن آلان كان مغرمـــا دائما بتلك الجولات الطويلة المنفردة .

مدام دى بويجرلان : ولكنه يتعب الآن أسرع من الماضى . . وقـــد أحسست طيلة تلك الأيام الأخيرة ، بأنه في أشد حالات التوتر والقلق . . . وقد قلت انه حضر:

في بداية العصر ، ولكنه لم ير ستللا ، علــى ما أظن ؟

آرنـــو : كلا ، ولكننى أعرف أنه تحدث مع والدى ومع إيفيلين .

مدام دى بويجرلان : وهل والدك هنا ؟

آرنـــو : لقد رافق جدتى إلى المحطة ، ولكنى اعتقد أنه لن يتأخر في العودة . وستنزل إيفيلين حالا .

مدام دى بويجرلان : وأنت ياآرنو ، ألم تر آلان ؟

آرنـــو : كلا .

مدام دى بويجرلان : ألاتعرف إذا كان . . . ؟
(لاتكمل جملتها)

آرنـــو : هاهى إيفيلين .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ــ ايفيلين

إيفيـــلين : هل رحلت ماجى ؟ (إلى مدام دى بويجرلان) مساء الخير ، ياسيدتى .

آرنـــو : كلفتنى ماجى بأن اخبرك بأنها لم تستطع انتظارك .

إيفلين : يا لها من مخلوقة غريبة الاطوار.

مدام دى بويجرلان : أعتذر عن مجيئى في هذه الساعة غير المناسبة ، غير أن آلان لم يعد ، فراودنى أمل غامض — بأننى قد اجده هنا . يقول لى آرنو انك رأيته بعد ظهر اليوم .

إيفيلين : هذا صحيح .

مدام دى بويجرلان : هل لى أن اسألك عما إذا كان قد بدا لك .. مشغولا بوجه خاص ؟ (تتردد إيفيلين) ، أرجوك ياسيدتى ، لاتخفى عنى شيئا .

إيفيلين : من المؤكد أنه كان منفعلا جدا . ولكنك — تعلمين بلا شك أنه قد كتب رسالة إلى ستللا بعد محادثتنا ...

مدام دى بويجرلان : لقد اتصلت بى تلفونيا : وكانت تريد أن تتحدث إليه عن ذلك الخطاب دون شك . فأجبت عليها بأنه غائب ، وهنا قالت لى إنها ستأتى لتقبيلى في آخر النهار ، ولكنها لم تأت . وعلى كل حال ، وأيا كانت المشاعر التى أوحى بها خطاب آلان إليها ، فانه لن يعرف عنها شيئا مادام لم يتم بينهما اليوم اتصال .

إيفيلين : ليس من شك أن ...

مدام دى بويجرلان : ان مايهمنى اذن ، هو أن أعرف بالضبط في أى حالة كان عقب تلك المحادثـــة . . .

إيفيـــلين : منفعلا جدا ، هذا ماأعيده عليك ، على أن نوع الانفعال . . . . غير المعقول الذى كان فريسة له ، لم يمنعه من كتابة تلك الرسالة التى لايمكن إلا أن تكون طلبا للزواج .

مدام دى بويجرلان : وبعد ؟ ماهى النتيجة التى تخرجين بها من هـــذا كله ؟

إيفيـــلين : انه لم يقرر العودة لأنه ينتظر عند عودته الـــرد الذى سيحدد مصيره نهائيا . . أجل ، إنه يؤجل اللحظة الفاصلة .

آرنـــو : هذا محتمل جدا .

مدام دى بويجرلان : أنت ياآرنو ، أكنت تتصرف على هذا النحو ؟

آرنـــو : إن كل منا ــ آلان وأنا ــ طبيعتين مختلفتين أشد الاختلاف .

مدام دى بويجرلان : ألديك من الأسباب مايدفعك إلى التفكير في أن ستللا قد ردت عليه ؟

آرنـــو : أنا على يقين من أنها لم تفعل .

مدام دى بويجرلان : ألا أستطيع أن أراها ؟

لى إيفيلين : أطلب إليك بالحاح أن تنتظرى يوما أو يومين . إن حالتها تزعجنى .

مدام دى بويجرلان : حالتها الجسمية أم المعنوية ؟

إيفيلين : يستحيل التمييز بينهما . (صمت)

مدام دى بويجرلان : آرنو . . . ألك . . . شىء من التأثير على آلان ؟

آرنو : كلا ، للأسف ، ليس لى أدنى تأثير .

مدام دى بويجرلان : أنت تعلم أنه كان طفلا شديد الورع ، ثم ، لست أدرى .
فأساتذة الليسيه ، والزملاء والمطالعات . . منذ عامين حسبت أننى ألاحظ عليه عودة إلى حماس الصبا . وتمكنت من إرساله إلى الأب فوريه للتحدث إليه مرتين أو ثلاث مرات ، ولكننى أخشى ألايكون الأب قد نجح في توجيهه . بل يبدو أنه ثبط همته .
أما أنت ، ياصغيرى آرنو ، فلدى الشعور دائما بأنك لو تعهدته . . .

إيفيلين : يالها من كلمة فظيعة !

مدام دی بویجرلان : فقد تحصل منه على وعد بمواصلة أداء الشعائر بانتظام ، إنه لم يكن يريد الاشتراك في طقوس عيد الفصح . فاذا قبل التناول ، فقد تتخلى عنه بعض الأفكار الشنيعة .

آرنـــو : تقصدين . . فكرة الانتحار .

مدام دی بویجرلان : (بصوت خفيض) أجل .

إيفيـــلين : أعتقد أنه لاينبغي عليك اطلاقا أن تأخذي تهديداته مأخذ الجد ، فلدى انطباع واضح بأنه يتلاعب بها .

مدام دی بویجرلان : (بصوت مرتجف) وحتى لو كنت على صواب فليس من الخير أن تتحدثي على النحو الذي تتحدثين به . .

إيفيـــلين : يبدو لى الأمر على عكس ذلك . . .

مدام د بويجرلان : كلا ، كلا ، ومع ذلك فلست مندهشة . . لأن هذا التلاعب — كما تقولين يمكن أن يصبح مع طول الوقت شيئا قاتلا .

آرنـــو : سألت نفسى في بعض الأحيان ، اليس من واجبك أن تصحبيه بعيدا جدا . فتقومى معه برحلة طويلة ، إلى مصر ، والهند . . .

مدامد بويجرلان : على هذا ، فأنت تكاد تكون على يقين من أن ستللا سترفض .

آرنــو : على العكس ، فقد رأيتها بعد ظهر اليوم عازمة على الزواج منه . غير أن ستللا ليست في حالتها الطبيعية ، كما قالت لك إيفيلين ، فهي نفسها لاتعرف ماتريد . وينبغي — على ماأعتقد — أن نترك لها وقتا تستجمع فيه شتات نفسها .

مدام دي بويجرلان : انت لاتحسب حسابا للظروف ، ياآرنو ، انت تفكر في المجرد .
وهذه الرحلة التي تزكيها ، ستكون عقوبة — بالنسبة إليه . إنه لايكاد يستطيع احتمالي ، ففي معظم الأحيان يتناول كل منا طعامه بمفرده .
واني لأحسب هذا تكفيرا عن ماض ثقيل جدا .
فمنذ وفاة زوجي ، تعلم جيدا ، انني قد كرست له حياتي ، ولم أكن أعرف كيف أخفي عنــه ذلك ، وهذا أمر لم يغفره لي .
قرأت كتبا لهؤلاء النفسانيين . . أولئك المحللين النفسيين الذين يتحدثون عنهم كثيرا في هــذه الأيام . بيد أن الحياة أكثر تعقيدا مما يظنون ،

بل أكثر فظاعة . وربما كان آلان يشعر نحوى
بذلك النوع من العاطفة . . هذا ممكن جدا ،
وربما كان هذا هو سبب بقائه طاهرا فترة أطول
من سواه . أوه ! إننى واضحة جدا . . واضحة إلى
أبعد حد . . . ولكنه — أضمر لى حقدا عميقا ،
ربما لم يشعر به هو نفسه، كل ما يعرفه هو أننى
أزعجه . . . وليس هذاذنبى ، كما أنه ليس ذنبه
وكثيرا ما فكرت . .أجل ، لقد تحدثت عن
هذا إلى قساوسة ، ولكنهم لم يفهموا ، ولـــم
يريدوا . . . وكأن العذاب الانسانى لاحق له في
أن يتجاوز حدودا معينة . وحين يصل إلىماوراء
تلك الحدود ، فانه يتمخض عن نفس النتائج
التى تنجم عن ذنب كبير . ولهذا فانه . . —
يعاقب . ولو أننى تَعَزَّيتُ في يسر عن وفاة
زوجى ، لكانت هناك اهتمامات أخرى في
حياتى ، وماكنت أثقل على ابنى آلان المسكين .
والآن . . . (تمسك عن الكلام ، وقد أصابها
الاعياء)

آرنـــو : (في ألم عميق) ألم يفهموا ؟

مدام دى بويجرلان : تعنى القساوسة ؟ كلا ، فهذا مناقض أشـــد

التناقض لتعاليمهم . . أوه ! إنهم على حق بكل تأكيد ، وأنا التى أسيء التفكير .

آرنـــو : كلا ، ولكن ، لعلك لاتتجهين مباشرة إلى الأعماق . وهذا العذاب الذى تتحدثين عنه ، والذى يصل إلى وراء ماتسمح به الطبيعة . . . لاأتصور انه خطيئة ، بل امتياز شديد الوطأة ، وينبغى أن يصاحبه شيء من الزهد . وإلا كان محاباة للذات . . محاباة غير مشروعة .. هدامة .. لا بالنسبة للذات وحدها ، بل على الأخص ، بالنسبة للآخرين .

مدام دى بويجرلان : (في عمق) لاريب أن هذه هى الحقيقة . شكرا ، ياآرنو .

—

إيفيـــلين : (التى لم تستطع مداراة شيء من التوتر) أطلب منك — ياسيدتى — أن تفكرى في ستللا ، فهى التى ينبغى أن تشغلنا بوجه خاص في هذه اللحظة. وحين صعدت إليها منذ لحظات ، وجدتهـــا محمومة ، بل تكاد تهذى . فاذا كان آلان — وهذا ماأخشاه — قد ضغط عليها في ذلك الخطاب الذى لاندرى محتواه — بهذا الابتزاز . . .

مدام دى بويجرلان : أرجو أن تسحبي هذه الكلمة .

إيفيلين : إنها للأسف الكلمة الوحيدة المناسبة .

آرنو : إيفيلين ، أنت مخطئة ، تذكرى . . .

إيفيلين : (إلى مدام دى بويجرلان) إن من واجبنا الصارم — أنت وأنا — أن نحمى ستللا ضد هذا الاستغلال إنه لاشعورى ، ولذلك السبب فهو خطير . والواقع أن ستللا لو كتبت إليه في هذا الوضع الراهن للأشياء — فان من واجبك إخفاء خطابها.

مدام دى بويجرلان : هذا جنون .

إيفيلين : إنك لاتريدين أن تنظرى إلى الحقيقة وجها لوجه.

مدام دى بويجرلان : وأنت نفسك ، أأنت واثقة إلى هذا الحد ؟. . .

إيفيلين : انها لم تخفنى قط .

مدام دى بويجرلان : ولكن هل . . (بلهجة مختلفة) تحدث أميديه أيضا مع آلان ؟

إيفيلين : بضع دقائق .

مدام دى بويجرلان : وهل يشاطرك . . هواجسك ؟

إيفيلين : أنت تعرفين أميديه :إن له منظوره الخاص به .

مدام دى بويجرلان : ماذا تقصدين بهذا ؟

إيفيلين : تعلمين مثلى أنه لم يشعر قط بشعور الآخرين .

مدام دى بويجرلان : لقد لاحظت أنك لم تجيبى علىّ . آرنو ...

آرنو : إن أبى يحب آلان كثيرا .

إيفيلين : أنت تعرفه تمام المعرفة ، فلا قيمة للانسان في نظر أبيك إلا بصورته هو نفسه التى يتأملها في قاع عينيه . ولكى تكون هذه الصورة متملقة قليلا ...

مدام دى بويجرلان : (في خشونة متزايدة) ومن المفهوم أنك — تحكمين على نفسك بأنك منزهة تماما عن هذا ... الضعف ؟

إيفيلين : كيف ؟

مدام دى بويجرلان : ومع ذلك ، فالنفور الفظيع الذى يثيره في نفسك. لاتنكرينه . . يأتى طبعا من أنك لم تجدى في — عينىّ أنا . . انعكاسا يرضيك .

إيفيلين : أنت صديقة أميديه ، وأعرف انك لم تهتمى اطلاقا بأن تكونى صديقتى . وإنى لأذكر جيدا زيارتى الأولى لك في شارع « كورسل » . .

آرنــو : إيفيــلين ، كيف لاتشعرين بأن هذا كله . . أكثر من مؤلم ؟

مدام دي بويجرلان : الحقيقة هي أنك منذ اليوم الأول شعرت بأن في نظرتى سؤالا لايعجبك .

إيفيــلين : أي سؤال ؟

مدام دي بويجرلان : أمن الضرورى حقا أن أوضحه ؟

إيفيــلين : أي ســؤال ؟

آرنــو : أرجوك ياسيدتى ، ألا تعجبينى . كونى من الخير بحيث لاتجيبين .

مدام دي بويجرلان : أظن أننا لانستطيع الاتصال تلفونيا ؟

آرنــو : لقد تجاوزت الساعة التاسعة .

مدام دي بويجرلان : سأعود ، فربما كان الآن في طريق عودته .

آرنــو : هذا محتمل . . . وسأتصل بك تلفونيا صباح غد لكي أتأكد من أن كل شيء على مايرام . . غير أنني لست قلقا .

مدام دي بويجرلان : شكرا ، ياصغيرى آرنو . إنك طيب .

آرنــو : الواقع ، أنني أستطيع أن أرافقك .

مدام دي بويجرلان : كلا ، فان معي سيارتي . ولاجدوى من ذلك على الاطلاق .

(تخرج مع آرنو ، الذي يعود بعد لحظة)

المنظر التاسع

ايفيلين ـ آرنو

إيفيـــلين : (في غلظة) امقت ان أراك في دور الملاك . (صمت) أتنضم إلى صفها ضدي ؟

آرنـــو : إني أكن لها إعزازا كبيرا .

إيفيـــلين : لقد لاحظتُ ذلك .

آرنـــو : وأنت تعلمين ـ أنت نفسك ـ أنك ظالمة .

إيفيـــلين : لقد أحسست دائما بأن لديها نوعا من التحيز .

آرنـــو : كلا ، ياإيفيلين ، لا أعتقد ذلك . إنها لم تكن تبغي سوى الترحيب بك .

إيفيـــلين : الترحيب ! يالكلماتك ! . .

آرنـــو : كل مافي الأمر ، أن هناك شيئا لاتستطيع تفسيره ولما كانت في غاية الاستقامة . .

إيفيـــلين : انها تتمتع بكل الصفات الحميدة .

آرنــو : كلا ، بالطبع ، إن لها فضائل عظيمة ، وضعفا عميقا ، ولكنها تقيم بينهما شيئا مــن التوازن.

إيفيــلين : وهذا السؤال الذى توسلت إليها ألاتوجهه إلى، أنت نفسك أنت . . .

آرنــو : لقد أردت زمنا طويلا ان احول عنه فكرى . وهذا لم يعد اليوم ممكنا ، إيفيلين ، اعتقــد أنه لم يعد لنا الحق في ذلك على الاطلاق .

إيفيــلين : نحن .

آرنــو : أنت وأنا .

إيفيــلين : أتريد ان تتحدث عما حدث في الآنجادين ؟

آرنــو : (في رفق) عن زواجك ، بكل بساطة . . كانت هناك انسانة مجهولة تثقل على وجودنا . ومادمت لم تلق ضوءاً على هذه المجهولة ، فان حبك لستللا لايمكن إلا أن يتحول ضدها .

إيفيــلين : أنا لاأفهم شيئا على الاطلاق .

آرنــو : وأنا لست متأكدا من فهمه ، ولكننى أراه .

إيفيــلين : إنى احسدك على توكيداتك .

آرنــو : كلا ، ياإيفيلين ، الناس لاتستطيع أن تحسد إلا الممتلكات ، وأنا لاأملك شيئا . إن إملاقى تام ، وأنا نفسى ، حين أتأمله ، أشعر أحيانا بحزن لااسم له . مما يدل على . . .

إيفيلــين : على ماذا ؟

آرنــو : على أنه لاوجود لشيء نملك حق النظر إليه .

إيفيــلين : وددتّ لو كنت مكانك .

آرنــو : وهذا أيضا وهم . وذلك لأنك تتصورين شيئا لاوجود له ، أو لانستطيع في نهاية الأمر أن نتخيله أبدا . . (برهة) ألا تريدين تفسير ذلك لى ؟ أؤكد لك أنه ليس حب الاستطلاع ، وإنما هو ضرب من القلق ، وإن لم يكن قلقــا شخصيا على الاطلاق بل هو قلق عليك .

إيفيــلين : (على مهل ، وبصوت مكتوم) لن تستطيع ان تدرك تلك الاسابيع من التمرد التى اجتزتها حين وصلت إلى « سيلقابلانا » . فكثيرا ماقلت لكم ذلك ، إننى كدت أعتقد العزم على الافتراق عن أبى ، والرحيل إلى فيينا . . ولم أكن أدرى لماذا كانت فيينا تجتذبنى ، وتخيفنى في الوقــت

نفسه . قلت لنفسى ، سأضيع فيها ، سأضيع فيها ... وأخذت أردد ذلك بنوع من الرضا المنقبض اليائس . وخيل إلى أننى لم أحب أحدا ، وانى قد نَفَدْتُ عبر كل العواطف . . وطبيعى ، كان هناك ذلك الحب اليائس لذلك الطبيب . . . ولم تبق لى منه سوى المرارة . . رماد أتمرغ فيه ، كما يتمرغ المرء في الرمال . . وعندما رأيتكما انتما الاثنين . . . ولن أنسى أبدا ذلك اليوم في آخر شهر يوليو ، عندما التقينا بالقرب من بحيرة تشيبا ، وأنت تتذكر تلك العودة الطويلة . . وكأنما كان قلبي يبدأ الحياة من جديد . . . كانت تستبد بى رغبة في الضحك والبكاء .. لست أدرى . . لقد دخلتما — انتما الاثنان في حياتى . كما لو أنكما دخلتما حجرة حزينة ، ففتحتما مصاريعها ، ونوافذها ، وحينذاك اقتحمتها الشمس .

آرنو : ولكن ، ياإيفيلين . . . .

إيفيلين : ولم تتحدثا إلىّ عن أبيكما على الفور أو على الأقل لم تصفاه لى . فكونت عنه فكرة مبهمة ، مبهمة نوعاما ، ولكنها كانت تعجبنى ، أو على

الأقل . . . ثم كان محوطا بجو . . لاأدرى كيف
أعبر عنه . . . بنوع من الأبهة الروحية . .
أوه ! إننى أمقت هذا الآن ، ولكن ، لماذا
لاأعترف بأننى خدعت بها في أول الأمر ؟ —
وسرعان ماأدركت أن فكرة خطرت على بالك
وعلى بال ستللا ، وعلى بالى أنا ، وأنها استقرت
فيكما . لقد تبينتمانى ، وكنتما ترغبان فيّ .
وأحسست بأننى محتفى بها . أجل ، إنه هذا ،
وكأننى قد ألقيت مرساتى ، وفي خلال تلك
الاسابيع عشت تحت سيطرة ثابتة هى ألا أخيب
ظنكما . ومن أجل هذا ، كان لابد أن . . .
أعجبه ، والطريقة الوحيدة هى ألا انظر إليه —
كثيرا ، وألا أدع حقيقة محيرة أتوقع حدوثها
تنفذ تماما إلى نفسى . وهذا اشبه بحالتنا حين
نبتعد لكيلا نتنفس رائحة معينة . غير أن هذه
مقارنة لم تخطر على بالى إلا الآن . . . (صمت .
آرنو يثقل عليها) أتراك تحكم عليّ ؟

آرنو : وإنما أحاول الفهم ، وأن أتذكر جيدا . . .

إيفيـــلين : في بعض المراحل الحاسمة ، يبدو وكأننـــا نسير في مسالك ضيقة تبعث على الدوار : فلا نتقدم إلا بفضل الغريزة ، وبشرط أن ننظر ... من هنا ، لامن هناك . . وعلى الأخص ،لامن هناك . . . ثم ، إننى أكذب على نفسى لو لم اعترف إلى نفسى أن الوان رعايته لى قد تملقتنى . . أجل ، وأرضت غرورى . فحتى الآن ، لم أكن قد اجتذبت إلا انتباه أشخاص عاديـــين أو أشخاص يبدون لى تافهين ، أصدقاء أبى ، وهم يبعثون على اشد الملل ، فنيون في أغلـــب الأحيان . أما والدك فانه يتمتع في نظرى بنوع من . . هذا موسف ، ولكنها الحقيقـــة . وبسببكما ، ولأنى كنت أحبكما ، لم أشأ أن افقد الثقة في نفسى . ها أنت ترى ياآرنو ، أننى لم أكن أفكر في تدبير أمورى .

آرنـــو : ولكنه هو . . هل حدث لك . . مرة واحدة . . أن فكرت فيه ؟

(صمت)

إيفيـــلين : (بصوت خافت) لاأدرى .

آرنـــو : ألاترين أن ذلك . . أمر مخيف ؟ . . لقد — أعلنت منذ لحظة آنه لايشعر بشعور الآخرين . . . فهل من حقك أنت أن توجهى إليه هذا الاتهام ؟

إيفيـــلين : (في حدة) أتوسل إليك ياآرنو ، ألا تكون على صواب بهذا الشكل الرهيب ، إذا لاأشعر بأننى اتحدث إلى كائن بشرى . . . إننى أحاول توضيح نفسى .

إنك تدرك ، كم هو مشغول بنفسه ، كما لو كان يبيح لك أن تضع نفسك مكانه .

آرنـــو : أجادة أنت فيما تقولين ؟

إيفيـــلين : (وقد أرهبتها لهجته) ، أجل ، على مايبدو لى.

آرنـــو : مشغول بنفسه . . ألم يخطر ببالك قط أن هـــذه سمة شخص هش جدا ، أعزل جدا ، نهم جدا أيضا ، وأشد مايكون تعاسة . . .

إيفيـــلين : لاأعتقد أن والدك قادر على الألم — على ماأسميه أنا بالألم .

آرنـــو : ماتسمينه أنت . . لابد لك من آلام مدموغة ، ياإيفيلين . . ثمة آلام أخرى ، كما توجد أمراض لم يعرف لها اسم بعد ، ولكنها ليست أقل فظاعة

أما أنا ، فأعتقد أن أبي رجل شقي إلى أبعد حد ، وأن شقاءه ليزداد بقدر ماتقل معرفته به . وذلك النوع من الظمأ المبهم الذى يلتهمه ، هو نفسه لايعرف عنه شيئا — والسبب هو أنه التهمه فلم يبق منه شيئا .

إيفيلين : لست أدرى ، إنها نظرة من نظرات الروح .

آرنو : إنه يقين . . فلو أنك حاولت . . أن تفكى رموزه ، مستخدمة هذا الحاجز . . ولكن ، ربما كان الوقت متأخرا جدا .

إيفيلين : لاأرى شيئا في سلوكك تجاه أبيك قد كشف عن هذا الاعتقاد . المدهش . فأنت معه ، تبدى الاحترام ، وإن كنت متباعدا جدا . وخلاصة القول ، انك تعامله معاملة الغريب .

آرنو : أتعتقدين أنى لاأرى نفسى مذنبا حياله ؟ انه بالنسبة لى اشبه بجزيرة. لم أجد بعد وسيلة للوصول إليها . وإنى لأصلى كل يوم لبلوغها . . ثم — إنى — ياإيفيلين — مهما بدا ذلك غريبا جدا — لم أدرك شقاءه إلا في هذه اللحظة ، وبعد احتكاكي بك . . والشيء الغريب جدا هو أنك

لمحت شقاء ستللا ، ولكنك لم تكتشفى شقاءه هو ، مع أنهما متشابهان .. ولاينفصلان . وهناك بعيدا ، أبعد قليلا ، وراء هما ، ثمة شقاء آخر ، ضحية أخرى .

إيفيـــلين : أجل ، أعرف من تقصده .

آرنـــو : ولكننى — ياإيفيلين — أستميحك عذرا ، إن بدوتُ لك قاسيا جدا . . إذ يخيل إلىّ ، أنه لايحق لنا استغلال أولئك الغائبين ، وتقييدهم . . إن أمى ، ياإيفيلين . . . تلك الفعلة اليائسة الــتى اندفعت إليها ، كما نندفع إلى الموت . . .

إيفيـــلين : وبعـــد ؟

آرنـــو : طالما تساءلت : ألايمكن أن يكون أبى هوالذى أوحى إليها — في الواقع — بهذه الفكرة ؟

إيفيـــلين : ماذا تعنى ؟

آرنـــو : لأنه كان يتوقع ببساطة أن تقوم بها ، لأنه كان في حاجة إليها . . أتفهمين ؟ وكأنما كان لابد من وقوع حادث ليبرر في نظره الشفقة التى يشعر بها نحو نفسه . . وربما كان أولئك الذين نسميهم

مجرمين ، ليسوا في بعض الأحيان سوى . .
مفتونين . —

ولكن هـذه الجريمـة المستعارة التى لم تستطع التعرف على نفسها . . أعتقد أنها قد عزلتها عن نفسها . وهكذا ، اضطرب عقلها . . وضاعت حقا .

إيفيـلين : من أين تأتيك هذه الأنوار ؟

آرنـو : لن نعرف أبدا ذلك الجانب من الموت . وكونى على يقين من أنها ماكانت هى نفسها تستطيع التفسير — ولاهو أيضا . . أما انا ، فقد عاهدت نفسى منذ أمد بعيد ، على التسليم بهذا الجهل .

إيفيـلين : بينك وبين نفسك ؟

آرنـو : كلا . . وانما هو ميثاق وقعته .

إيفيـلين : مع مَنْ ؟

آرنـو : لاأشعر بالحاجة إلى التصريح باسم . . . شريكى ، كل ما أعلمه هو أنه حضور . . ليس حضورا انسانيا ، شخصاً لا أستطيع الحديث عنه ، ولكننى — بالنسبة إليه — « أنت » . إنـه موجود . . وهو ساهر . . .

إيفيلين : عليك ؟

آرنو : من أجلى ، من أجلنا .

إيفيلين : هذا شيء لاسبيل إلى تصوره . ياله من سراب داخلي ذلك الذى تشيد عليه وجودك ! (آرنو لايبدى احتجاجا .) آرنو !

آرنو : عفوا . ماكان ينبغي على أن . . .

إيفيلين : كيف أستطيع أن أتعرف على نفسى داخل هذا التشابك المعقد الذى لاسبيل إلى الخلاص منه ؟ فتارة تصدر عنك . . لاأدرى . . سلطة تستعبدنى وتارة أخري يخيل إلى أننى أنصت إلى طفل معتوه. أيوجد فيك نسيج قديس أم لاتعدو أن تكو ن صاحب رؤيا ؟ أنا وحيدة ، انا ضائعة . (آرنو لاينطق بشيء ،ونشعر انهمستغرق في صلاة صامتة .) كم الساعة ؟ كيف لم يعد والدك حتى الآن ؟ . . . لكأننا خارج الحياة . فلا نسمع ركزا . . . ألن تتركنى أقترب منك ؟ لكى اتكلم لغتك التى لن تكون لغتى أبدا ، ياآرنو ربما . . . أجل ، ربما اخطأت على سبيل الكبرياء انظر ، انى أوافق على ذلك ، ولا أتشدد . إن

الطريق الذى سلكته حتى الآن لم يؤد بى إلى أى مكان . أحب أن اغير طريقى . ومادمت تتمتع بأنوار حرمت على ، فلماذا لاتقبل ارشادى ؟ سأكون طيعة . . متواضعة ، أؤكد لك . وربما تعلمت أن أكون أكثر إنصافا له — مادمت تعتقد أننى غدرت به . وإنى لعلى يقين فى هذه اللحظة من أنك على صواب . وكان ينبغى . . . كان ينبغى . . . (تنحنى نحوه . فى قلق .) آرنو ، لماذا لاترد على ؟ لكأنك تشعر بخوف لاتريد أن تصارحنى به .

آرنـــو : أنت مخطئة ياإيفيلين ، لاأشعر بأدنى خوف . . .
(تبقى الجملة معلقة)

إيفيـــلين : لماذا أشعر بأنك لاتفضى إلىّ بكل ماتفكر فيه ؟

آرنـــو : (بصوت متردد) ثمة قرار خطير استقر عليه عزمى منذ مدة . . . أو بالأحـــرى . . كلا . ، لست أنا الذى اتخذته ، بل أشير به... علىّ . وأطلب منك أن توافقى عليه — ياإيفيلين . . . حتى لو أدهشك ، كما أخشى...

إيفيـــلين : (فى اعياء) آه !

ارنـــو : سأدخل في سلك الرهبان خلال بضعة أسابيع .

إيفيـــلين : (في شبه صرخة يائسة) ليس من حقك .. كيف تريد أن ... ؟ (تشعر بنظرة آرنـــو عليها ، فتقول بصوت متلعثم) ينبغي أن — تتزوج ، ياآرنو ، وأن يكون لك أطفال .. ليس هذا ممكنا ... هذا ضلال .. سأمـــوت لوحـــدث ..

آرنـــو : (في رقة عميقة) تموتين ، ياإيفيلين ..— أتعرفين حقا مامعنى أن يموت المرء ؟

إيفيـــلين : (في شيء من الحدة المركزّة) سأموت لوحدث ذلك .

آرنـــو : أما أنا ، فمنذ أن استمعت إلى هذا الحكم ، يخيل إلى أنني استشف ماهو كائن .. وماسيكون. فبالموت ننفتح على ماعشنا من أجله على الأرض . هأنذا أقدم إليك الفكرة التي استمد منها غذائي.

إيفيـــلين : أنت لاتقدم لى سوى كلمات .

آرنـــو : إيفيلين ، ألم تسألى نفسك قط علام تعيشين ؟

إيفيـــلين : (في مرارة) —إنني كالآخرين ، لاعليك ،

لن أصمد إلا بشرط ألا تطلب منى ذلك . . .
(في صوت مختنق .) لقد حطمتنى .

آرنـــو : بل أعتقد بالأحرى أننى انتزعت منك شيئا كان يمكن أن يخنقنا . (صمت)

المنظر العاشر

نفس الأشخاص ــ اميديه

إيفيـــلين : يالها من عودة متأخرة الا بد أننا في ساعةغير مناسبة.

أميـــديه : لقد تأخر القطار عن موعده ، ياإيفيلين . يالها من ليلة رائعة ــ نادراً مانفيد من تلك الليـــالى القمرية الساطعة ، المثيرة للأشجان ــ لقد عدت سائرا على قدمى . وأنت تعلمين أننى أسير بخطى واسعة ، مستغرقا في خواطرى . بيد أن ــ المصادفة شاءت ــ وأنت تقول بالأحرى العناية الالهية ياصغيرى آرنو ، وفي واقع الأمر لاتجانب الصواب ــ أن ألمح شيئا منحنيا على حافة مستنقع . .ولم أتعرف عليه لأول وهلة .
وخضوعا لدافع لاأدرى كنهه ، انحرفت عـــن الطريق ، واقتربت منه ، وكم كانت دهشتى

حين تبينت أن هـــذا الحالم الخائر لم يكن سوى آلان . . إيه ، أجل ، آلان ! فوضعت يدى برفق على كتفه ، فالتفت ، ولن أنسى ماحييت تعبير الفزع ، والدهشة الحانقة الذى طالعتـــه حينذاك في عينيه .

إيفيـــلين : الحانقـــة ؟

أميـــديه : ذلك لأنى قطعت عليه خلوة لذيذة . . ولكنها قلقة . . أيضا .

إيفيـــلين : كان يتجول نائما .

أميـــديه : لم يكن يتجول نائما ياإيفيلين ، لاأحب كثيرا هذا الاستهزاء .. بل كان مستسلما لذلك النوع من السحر الخلاب الذى يصدر عن المياه الغافية . لست أدرى إن كنت تذكرين تلك الأغنية — السحرية ، ذلك اللحن لموسورسكى — عـــلى ما أعتقد — الذى كانت تغنيه مارى — استيل فما مضى بصوت أخاذ . . .

آرنـــو : ولكنك لاتريد ياأبى — أن تقول مع ذلك . . .

أميـــديه : بلى ، بالضبط ، ولو تأخرت بضع دقائق ،

لانزلق هذا الطفل الحزين المسحور إلى الموت . .
وقد اقتنع هو نفسه بذلك ، فبعد أن انتزعته من هذا الخدر الخبيث ، وعنفته ببعض الألفاظ الودية . وإن تكن على شيءمن الفظاظة ، سألته في غاية من الحنان عما ينتظره في ذلك المكان ، وتلك الساعة ، عند المستنقع المسحور . ولست أذكر الكلمات التى استخدمها بالذات ، فقد كنت في حالة من التأثر السلبي ، وهذا شيء لاأنكره . وقد قال لى شيئا قريبا من هذا الكلام وهو أننى حاولت التوافق مع الأشياء توافقـــا دقيقا لكى أصبح — أنا نفسى — في نهاية الأمر دون ندم أو احتجاج . . . شيئا . وقد عنفته — كما تتوقعون — وصورت له الألم المريع الذى تسببه هذه الفعلة لأمه العظيمة وهو يعلم أنـــه بالنسبة إليها كل حياتها . . وأنصت إلىّ صامتا ، دون أن يبدو عليه الفهم ، وكأن نصفا منه مابرح هناك بين اعواد المستنقع ، على حين كان النصف الآخر يتبعنى كأنه انسان آلى . ولم أتوقف طبعا إلا بعد أن وضعته بين يدى أمه المسكينة التى كانت تبكى من الجزع عليه . ومازلت احتفظ في أذنىّ بتلك الصرخة التى تكاد تكون لا إنسانية —

التى اطلقتها حين رأتنا نظهر في ذلك المخدع الأنيق حيث لبثتْ منذ ساعات طويلة ترقب عودة الابن الضال . .

إيفيلين : منذ بضعة دقائق ، على الأكثر ، لقد أمضت هنا شطرا من السهرة .

آرنو : لاأهمية لذلك ، ياإيفيلين .

إيفيلين : إنى أمقت المبالغة .

أميديه : وأعدّت له أمام عينى إبريقا صينيا للشاى المغلى ، سكبت فيه ملعقتين أو ثلاثا من الروم المركز ، وكنت مضطرا — رغم أن جسمى يحرم على ذلك — أن أقبل فنجانا مليئا من هذا الشراب المقوى . فلن يغمض لى جفن هذه الليلة ، ولكن لاأهمية لذلك على الاطلاق . أما آلان ، فلن يدفع لتهوره ثمنا اللهم إلا رشحا في الدماغ ، وتفتخر صديقتنا بأنها تستطيع أن تقضى على هذا كله ببعض أقراص من جنس الداء .

إيفيلين : العبرة بالخواتيم . ولكننى لاأفهم جيدا ، لماذا لم ينتظر ردّ ستللا على خطابه الذى كتبه إليها بعد الظهر ، قبل أن يتخذ ذلك القرار المتطرف .

أميـــديه : إليك مايثبت ـ ياعزيزتى إيفيلين ـ ومن يخطر له أن يلومك على ذلك ؟ ـ إلى أى حد يظل منطق معين للعواطف غريبا عليك . الانتظار ، ياإيفيلين ، الانتظار . . هذا العذاب الذى ـ لانجرؤ على تمنى نهايته ، فقد يكون في هذهالنهاية خيبة الأمل الأخيرة . . .

المنظر الحادى عشر

نفس الأشخاص ـ ستللا

إيفيـــلين : كيف حالك ، ياحبيبتى ؟ لم أكن أظن أنك ستنهضين هذا المساء .

ســـتللا : استغرقت في نوم عميق لمدة ساعة . . وعند ـ استيقاظى . . لاأدرى . . أحسست كأن أمرا سعيدا قد وقع أثناء نومى . (ابتسامة من أميديه توجه حديثها إلى أميديه) ياله من تعبير غريب ذلك الذى يبدو على وجهك ، ياأبى !

أميـــديه : كلا ، ياستللا ، كل مافي الأمر ، أننى ألاحظ وجود . . مصادفات تبهر الانسان بحق .

آرنـــو : تصورى أن أبانا ، أثناء عبوره بالقرب مـــن المستنقع ، لمـــح آلان نائما على حجر . وأنت تعامين سهولة إصابة آلان بالبرد . . . وقد أيقظه أبى ، وهزه ، وأعاده إلى بيته في « جرينيريير » . وكانت مدام دى بويجرلان في أشد حالات العذاب . . وهكذا انتهى كل شيء نهاية حسنة . . كما ترين .

ســـتللا : ياآلآلان المسكين ؟ هذا أفضل ، سأتصل به تليفونيا صباح غد .

أميـــديه : أجل ، ياحبيبتى . .

ســـتللا : سيكون سعيدا . . لقد كتب لى رسالة .

أميـــديه : أجل .

ســـتللا : هل لاحظت ياآرنو ؟ . عند مايكون مسرورا ، يبدو كطفل صغير ، يود المرء لو أخذه بـــين أحضانه .

(تبكى في صمت)

آرنـــو : (في حنان ، وبصوت خافت) لماذا تبكين ، ياستيل ؟

ســتللا : لست أدرى ، كل شئ قدا ختلط . . اختلاطاً مستعصيا . . في داخلنا نحن ، وفي خارجنا . إنى لأتمثل آلان راقداعلى تلك الصخرة ، خائر القوى يائسا وأراه غدا سعيدا .. بل يكاد أن يكون مجنونا.. ولا أريد من بعد ، أن أتذكر كم ضايقنى في كثير من الأحيان ، وأثارنى . . إنى أمحو هذا كله . . فاهم . . .

آرنــو : أجل .

أميــديه : ياطفلىّ المسكينين ، ثمة لحظات موفقة ، يتألف فيها نظام لاتلتقطه غير الأذن المرهفة ، البالغة الدقة . (ناظرا إلى إيفيلين .) أما بالنسبة — للموسقيين الأقل خبرة ، فتظل تلك التآلفات البديعة غير محسوسة .

إيفيــلين : (بصوت متهدج) — إذا كنت أنا التى تعنينى ياأميديه ، فانت مخطئ .
إنى أسمع مثلك نوعا من اللحن . . المعلق . . الممزق . . المبهم . . (بصوت أكثر انخفاضا) آرنو ، عندما تكون هناك ، سوف تصلى ، أليس كذلك ، لأولئك الذين يفتقرون إلى

الأمل ؟ حتى الموت ، لايدخر لهم وقت الحاجة أىّ . . أىّ . .

آرنــو : (في رقة يشوبها الوقار) إنك لاتعرفين يا إيفيلين . . انك لاتعرفين نفسك . . فكل شيء أمامك .

ستــللا : (تقترب) ماهذا الذى تقوله ؟ (إلى ايفيلين) أوه ! انني أعرف كل مايجول بخاطرك .

إيفيــلين : (في ألم) أنا لاأفكر في شيء ، ولم أعد قادرة على الحكم .

ستــللا : يا للأعجوبـــة الكبرى !

آرنــو : ستللا !

إيفيــلين : بل أكاد لا أفهم ماحدث ، هل حدث شيء ؟ (يغلب النعاس على أميديه ، فيغمغم قائلا : «ليس هو الليل . . لاأهمية . . » ترمقه إيفيلين ، ثم تهز رأسها .)

آرنــو : (في عطف عميق ، وقد سدد عينيه على أبيه) قليل من الوقت ، ثم تتبدد كل هذه الجمل التى فتنته في السكون ، وهذا التصنع الذى خدعه سينحسر عنه ، وهناك ، يبقى وحيدا ، أعزل ،

بلا دفاع ، كطفل غلبه النعاس ، ومابرح محتضنا لعبته . وأمام الشخص الحي الذى يخطب ويلوح بيديه ، ليتنا كنا نعرف كيف نستحضر مضجع الغد ! .. (ينظرون إليه . تتغلب — الدموع على إيفيلين ، تنحنى ، وتطبع قبلة على جبين أميديه ، كما قد تفعل ذلك يوما ما ، في في المستقبل . . .)

باريس — مورجا
ابريل — يونيو ١٩٣٧

